رواية للناشئة

陈土豆的红灯笼

شيه هوا ليانغ

مصباح تودو الأحمر

Telegram:@mbooks90

ترجمة: رنا عبده

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول

تودو يختلس السعادة

كان تودو عائدًا إلى منزله بعد انتهاء اليوم الدراسي، حين رأى جمعًا من الناس يقفون حول شجرة الصفصاف. لا يحب تودو المشاهد الصاخبة، لكنه توقف حين رأى الحمار مربوطًا في الشجرة.

إنه حمار العم سان لنغ. يحب تودو هذا الحمار كثيرًا، وأحيانًا عندما يلتقيه في الطريق، يشعر وكأنه يبتسم له. في الواقع، هذا الحمار يستطيع القيام بالكثير من الأعمال الشاقة، مثل: سحب العربة وحرث الأرض ودرس الحبوب والغلال. فعائلة العم سان لنغ تعيش حياة سعيدة بسبب ذلك الحمار. لكن العم سان لنغ كان يتصف بمزاجه السيئ وطباعه الحادة؛ فقد كان يركب فوق ظهر الحمار بسبب وبغير سبب، وفي بعض الأحيان، يربطه في الشجرة ويُبرحه ضربًا بالعصا؛ لذلك كان تودو يتعاطف مع هذا الحمار.

الآن، الحمار مربوط في الشجرة، ويقف مُنكّس الرأس، يتحمل بلا حول ولا قوة العصا التي يمسكها العم سان لنغ في يده، وإحدى ساقيه الأماميتين مصابة بالتشنج، كلما رفعها تنزل من تلقاء نفسها، وكلما أنزلها تتشنج مرة أخرى تُرفع من تلقاء نفسها.

فغضب تودو وصرخ قائلًا: «لا تضربه».

تفاجأ العم سان لنغ الذي يضرب الحمار لوهلة. لقب عائلة العم سان لنغ هو «تشن» أيضًا، لذا فهما من العائلة نفسها. بعد أن تفاجأ العم سان للحظات، نظر إلى تودو وقال له: «ماذا تقول أيها الطفل؟ لا أضرب الحمار؟! إذن هل أضربك أنت؟» ثم تابع وهو يدعك مؤخرته من الألم: «هذا الحمار تعلّم كيف يقلب العربة، وأوقعني على الأرض، فلماذا أحتفظ به؟».

غضب تودو، وقال: «إذن اضربه، سنرى إذا كان يمكنك قتله أم لا!».

فغضب العم سان أيضًا وقال: «أنت تتحدث ببساطة، هل تريد أن تشاهد شيئًا صاخبًا ومثيرًا؟ إذا قتلت الحمار، فهل ستعمل عندي؟».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضحك تودو وقال: «يا عم سان، أعتقد أنه يجب عليك التوقف عن ضربه، حتى بعد ضربه ستشعر بالضيق! ما رأيك أن تبيعه وتبتاع حمارًا جيدًا. على أي حال، إنه مصاب الآن، ولن يكون قادرًا على العمل لفترة من الوقت».

مسح العم سان لنغ العرق عن وجهه، وقال: «أبيعه؟ لمن؟ هل أبيعه لك؟».

فكّر تودو لبرهة، ثم قال: «موافق!».

حدّق العم سان في تودو لفترة طويلة، ثم ابتسم وقال: «تودو، أنت قلت هذا بنفسك، والداك يعملان وليسا في المنزل، لا تدع الجميع يقول إنني خدعتك، ما رأيك أن نتقايض؟ تعطيني قطعة الأرض التي تقع عند الجبل الجنوبي، وأعطيك الحمار؟».

إن قطعة الأرض التي تمتلكها أسرة تودو تقع عند الجبل الجنوبي ملاصقة لقطعة الأرض التي يمتلكها العم سان، وكان العم سان متفائلًا حيال ذلك.

أجاب تودو بسرعة بعدما استمع إلى حديث العم سان: «اتفقنا!»، وأخذ الحمار، واتجه إلى منزله دون أن ينظر إلى الوراء. تفاجأ العم سان لبرهة، قبل أن يصرخ في ظهر تودو: «تودو، هذا حمار جيد، لا تُسئ معاملته»، فلم يتفوه تودو بكلمة، وساق الحمار إلى المنزل.

في فناء منزل تودو، تنمو شجرة دردار عجوز تمتد أغصانها بشكل ملتوٍ، كما لو ستحتضن بين ذراعيها كوخين صغيرين.

سابقًا، عندما كان تودو يعود من مدرسته، كان معتادًا على أداء واجباته المدرسية فوق السطح. وقبل أداء واجبه المنزلي، يحب ممارسة تمارين الملاكمة أولًا؛ فيجلس القرفصاء، ويضم كفيه معًا، ثم يُغمض عينيه، وبعدها يصرخ: «آه»، ويسدد لكمة في الهواء ويركل بقدمه ركلة، فتتساقط أوراق شجرة الدردار واحدة تلو الأخرى.

لكن الآن، بعدما جاء الحمار إلى المنزل، لا يستطيع تودو الصعود إلى السطح وأداء واجباته المدرسية، ويمكنه فقط ممارسة تمارين الملاكمة في الفناء.

إنه فصل الربيع الآن، والعشب قد نما لتوه عند سفح الجبل الجنوبي، كما يوجد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جدول متقطع عند سفح الجبل الجنوبي، يتدفّق الماء فيه بقوة وبسرعة بعد يوم ممطر؛ لذا أراد تودو أن يذهب إلى سفح الجبل الجنوبي ليرعى الحمار.

بالطبع يحب الحمار هذا المكان كثيرًا. من قبل، عندما كان في منزل العم سان، كان يعمل طوال اليوم منكس الرأس، فأنّى له أن يجد وقتًا للاستمتاع؟

فهم تودو مشاعر الحمار، وقال له: «يا حمار، إذا كنت سعيدًا، فامرح وتدحرج كما تشاء».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

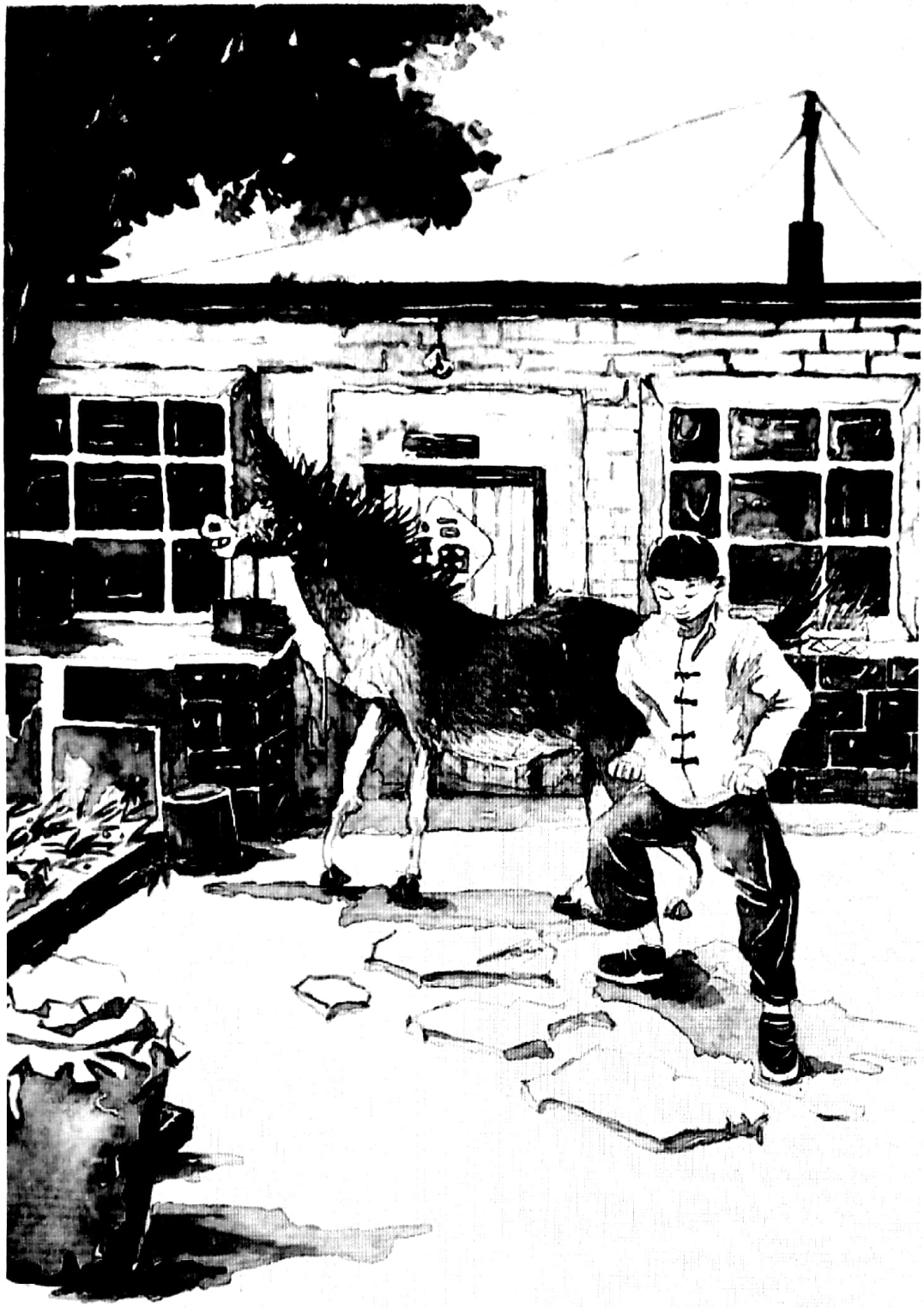

نُقش على الباب رمز صيني يعني البركة والسعادة، للتعبير عن الفأل الحسن.

فهزَّ الحمار ذيله، ونخر بأنفه مرتين، لكنه شعر بالحرج ولم يتدحرج. فكر تودو قليلًا، ورأى أن الحمار جاء لمنزله لتوه، ولم يقدم أي خدمات بعد، كما أن الإصابة التي لحِقت به عندما كان في منزل العم سان لم تلتئم؛ لذلك لم يجبره على أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتدحرج. وسرعان ما صار سفح الجبل الجنوبي المكان المفضل لدى الحمار، وكل يوم عندما يذهب إلى سفح الجبل الجنوبي لا يرغب في العودة إلى المنزل.

لكن تودو يجب أن يعود إلى المنزل. فبجانب واجباته المدرسية التي يجب عليه أن يُنهيها، لديه أعمال أخرى يقوم بها. فوالداه ذهبا للعمل في المدينة، وأخذا أخته الصغيرة ذات الثمانية أعوام معهما؛ لذا لم يتبقَّ غيره، وهو الآن ربُّ الأسرة المسؤول عن المنزل.

لكن بالطبع لا يفهم الحمار مشاعر تودو، فهو لم يكن ربَّ أسرة من قبل. سابقًا، لم يكن يعرف سوى العمل الشاق، والآن بعد أن صار عاطلًا عن العمل، صار خاملًا ومزاجه سيئًا، حين يناديه تودو لا يجيبه، وحين يسحبه ليعودا للمنزل، يتسمَّر مكانه ولا يتحرك.

فقال له تودو غاضبًا: «يا حمار، أنا أتممتُ خمسةَ عشرَ عامًا، كم عمرك أنت؟ إذا حولت عمر الحمير إلى عمر البشر، فكم يجب أن يكون عمرك؟ التأمت الإصابة في ساقك، أليس كذلك؟ كما صار مزاجك السيئ عادة، أليس كذلك؟». وبينما تودو يتحدث، ألقى لجام الحمار، واستدار وعاد إلى المنزل. ظلَّ الحمار يراقب تودو وهو يرحل دون أن يناديه تودو أو يسحبه، لذا تدحرج فوق العشب، لكن سلوكه هذا لم يجذب انتباه تودو، حينها عرَفَ الحمار أن تودو غاضب حقًا. لكنه لا يفهم سبب غضبه، فعلى الرغم من أن عمر الحمار قد تحوَّل بالفعل إلى عمر الإنسان، فإنه في الواقع أكبر سنًا من تودو.

Telegram:@mbooks90

عاد تودو إلى منزله، وعلى الرغم من غضبه الشديد من الحمار، فإنه كان يشغل تفكيره. صعد إلى السطح كما كان يفعل من قبل، وشاهد الحمار يرعى فوق العشب بلا مبالاة، فاطمأن وهدأ باله، ولم يعد غاضبًا، وأراد أن يتدرب قليلًا على الملاكمة، ثم يكتب الواجب المدرسي. في الحقيقة، كل تمارين الملاكمة التي يمارسها تودو تعلمها بنفسه، فهو لم يتعلم أي فنون قتالية بشكل متخصص، هو فقط يحب ممارسة التمارين كل يوم، لتقوية جسده من ناحية وللتخلص من شعورالوحدة من ناحية أخرى.

جلس تودو القرفصاء، وضمَّ كفيه معًا، وأغمض عينيه، ثم صاح: «آه».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أفزع صياح تودو الحمار عند سفح الجبل، فتوقف عن أكل العشب، ورفع رأسه ونظر إلى تودو فوق السطح، حيث يمد ذراعيه وساقيه تحت أوراق شجرة الدردار المزدهرة، كما لو كان سيتدحرج. لم يستطع الحمار أن يتحمل أكثر من ذلك، فرفع رقبته وراح ينهق.

سمع تودو نهيق الحمار، فظن أنه يشجعه، لذلك، صاح بصوت أعلى، مُغقِبًا صياحه باللكمات والركلات. ومع تساقط أوراق شجرة الدردار، اختفى تودو فجأة من السطح. وتصاعدت كومة من الغبار من بين أوراق شجرة الدردار الكثيفة.

لقد تصدَّعت أرضية السطح، وسقط تودو داخل المنزل.

ذُهل الحمار لفترة من الوقت قبل أن يُطلق ساقيه للريح ويعود إلى المنزل. وبينما يركض كان ينهق، في الحقيقة، كان يريد البكاء، لكنه نفسه كان يسمع نهيقه يشبه الضحك، لم يهتم الحمار بهذا الأمر كثيرًا، فكان «يضحك» بأعلى صوته بينما يركض مُتجهًا إلى منزل مالكه الأول العم سان. كان الحمار في لحظة يأس، وربما أراد إخبار العم سان بهذه الأخبار المؤسفة أولًا.

لنتحدث عن تودو مجددًا. لقد اعتاد أن يتمرن على السطح لسنوات عديدة، وهذه أول مرة يحدث مثل هذا الأمر العجيب. لقد كان مرتبكًا من الضجة التي أحدثها، واستغرق وقتًا طويلًا حتى نهض من الأرض. فنفض جسده من التراب، ورمش بعينيه بقوة، ثم نظر إلى الحفرة في السطح، وشعر أن الأمر ممتع.

قال تودو: «هل فتحت نافذة في السقف؟ يمكن رؤية السماء الزرقاء والسحب البيضاء وأسراب الطيور وأنا أقف داخل الغرفة، إذا استلقيت على السرير في المساء، فسأتمكن أيضًا من رؤية النجوم والقمر والطائرات المتلألئة».

وبينما تودو يختلس المتعة، إذا بشخص يركض إلى فناء منزله وهو يصيح: «تودو، كارثة، سيقتل العم سان الحمار». نظر تودو إليه فوجد أنه تشانغ دو فو جار العم سان. تودو لا يعرف تشانغ دو فو معرفة جيدة، كل ما يعرفه عنه أنه أحد أقرباء العم سان، وأيضًا ابنته تشانغ تشون ني، زميلته في المدرسة.

قال تودو لتشانغ دو فو: «سيقتل الحمار؟ وما علاقة ذلك الأمر بي؟».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يبدو أن تشانغ دو فو أكثر قلقًا من تودو: «هل فقدت وعيك أيها الفتى؟ حمارك هو الذي سيقتله العم سان».

استيقظ تودو من غفلته: «ماذا؟ لِمَ سيقتل حماري؟».

- «ركض حمارك إلى حديقة منزل العم سان وأتلف جميع الشتلات!».

كان تودو قلقًا للغاية، فمسح الغبار عن وجهه، وركض مسرعًا في نفس واحد حتى شجرة الصفصاف في وسط القرية، حيث رأى الحمار مربوطًا في الشجرة. وكان هناك بالفعل جمع من الناس حول الشجرة، ينظرون إلى العم سان لنغ والابتسامة تعلو وجوههم.

وكان العم سان يجلس عند الشجرة يشحذ سكينه، ويصر على أسنانه وهو يقول: «أيها الحمار منعدم الضمير، لقد كنت أعاملك معاملة حسنة في السابق، وأنت جئت لتتلف شتلاتي، مستحيل ألا أقتلك».

نظر تودو إلى العم سان وسأله وهو يلهث: «أنت... هل ستقتل حماري حقًا؟».

حسب الترتيب العائلي، يجب على تودو أن يدعوَ العم سان لنغ بالعم سان، أو يدعوه بالعم سان لنغ، لكن تودو كان يستشيط غضبًا؛ لذلك لم يدعه بـ «العم سان».

لم يرفع العم سان رأسه، على الرغم من علمه أن تودو قادم، فإنه لم يرفع رأسه وينظر إليه، وكان يشحذ سكينه بينما يقول: «لا أقتله... هل هذا ممكن؟».

فقال تودو لاهثًا: «إذن، فاقتلني أولًا!».

تفاجأ العم سان وتوقَّف عن شحذ السكين، ثم وجَّه السكين إلى الحمار، وقال: «لقد أتلف الشتلات في حديقتي. ما رأيك؟!».

- «سأعوضك».

وقف العم سان وقال: «كيف ستعوضني؟ هل ستعوضني بهذا الحمار؟».

لم يتوقع تودو أن يقول العم سان هذا، حتى إنه لم يفكِّر في رد.

قال تودو: «مهما يكن، سأعوضك».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضحك العم سان، ثم ألقى السكين فجأة، وجلس على الأرض يبكي: «يا تودو، نحن عائلة واحدة، هل تعتقد أنه يمكنني قتل حمارك؟ أنا أيضًا لا أستطيع العيش بدونه فلدي الكثير من الطاقة لا أدري أين أضعها، والكثير من الغضب أحتاج أن أخرجه، إذا لم ترد الحمار إليّ، فأخشى أن تحدث كارثة ما حقًا! تودو، أنا أحدّق فيك طوال اليوم، وأحدّق في حمارك، وحقًا أشعر بالحزن! إذا أعدت الحمار إليّ، فلن تُضطرّ إلى دفع ثمن الشتلات التالفة، ما رأيك؟».

ظلّ العم سان يتحدث لفترة طويلة، ولم يسمع أي رد، وتابع: «وسأعيد لك قطعة الأرض التي تقع عند الجبل الجنوبي، فهل ستوافق؟» ما زال العم سان لا يسمع أي رد، فمسح وجهه ورفع رأسه، ليجد الناس يضحكون وبدأوا يتفرقون، وتودو يسحب الحمار ويسير بعيدًا.

قفز العم سان وصاح: «تودو، أنت تثير غضبي. يا تودو، هل ما زلت تعدني عمك سان؟ تودو، انتظر!».

في المساء، كانت السماء ملبدةً بالغيوم، وفي وقت لاحق، بدأت السماء تمطر.

لم يستطع تودو رؤية النجوم والقمر والطائرات المتلألئة من «نافذة السقف»، بدلًا من ذلك تدفقت مياه الأمطار داخل المنزل.

انتفض تودو، ونهض من سريره وألقى معطفه فوق كتفيه، وخرج إلى الفناء.

كان الحمار في الفناء يقفز على أقدامه الأربعة، وكأنه يقفز فوق الجمر. تألّم تودو من أجله، فخلع معطفه، ووضعه فوق ظهر الحمار، ثم شبّك ذراعيه وراح يفكر قليلًا، ثم أغلق زرين في المعطف.

وفي الصباح، كان الجو صافيًا.

ورأى تودو الأوراق الخضراء من «نافذة السقف»، وعصافير الدوري تقف فوق الأغصان، وتهز ريشها وتميل رؤوسها وتنظر داخل الحجرة.

ابتسم تودو وخرج مسرعًا إلى الفناء، لكنه لم يجد الحمار، ورأى المعطف الذي وضعه على الحمار في المساء مُلقًى على الأرض بجانب وعاء الحمار.

ذُهل تودو لبعض الوقت، ثم تقدّم والتقط معطفه، وقال: «ألم ترتدِ معطفي؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألست محرجًا؟ حتى إنك غادرت دون أن تقول وداعًا. أنت... أيها الحمار الكريه».

عندما قال تودو هذا، شعر فجأة بألم في أنفه وبدأت دموعه تسيل. فنظر إلى السماء، وأغمض عينيه بإحكام، لتتراجع دموعه مجددًا.

خرج تودو وبحث عن الحمار، لكن لم يرَ أيَّ أثر له، فظن أنه ربما خرج للعب في مكان ما، وعندما يأخذ كفايته من اللعب سيعود إلى المنزل مجددًا، فأين عساه سيذهب إذا لم يعد للمنزل؟ لذلك، ذهب تودو إلى مدرسته كالمعتاد، وبينما يجلس في فصله، كلما خطر الحمار على باله شعر بالحزن، وكلما خطرت «نافذة السقف» على باله شعر بالسعادة.

مر تودو على منزل العم سان في طريق عودته من المدرسة، فرأى العم سان يعمل بجِدٍّ مع ذلك الحمار، فلم يقتنع تودو بما يراه، لذا توقف قليلًا لمشاهدتهما.

عندما رأى العم سان تودو، ركض إليه في سعادة وقال وهو يضحك: «يا تودو، هذا الحمار عاد إلى منزلي بنفسه الليلة الماضية. سمعت أن منزلك قد تحطَّم؟ غدًا أو بعد غد، بعد الانتهاء من قطعة الأرض هذه، سأساعدك في إصلاح السقف، حسنًا؟».

لم يقل تودو كلمة واحدة، وكان يحدِّق في الحمار.

واصل الحمار الحفر في التربة بأرجله الأمامية، ولم ينظر إلى تودو.

تقدم العم سان وصدَّ الحمار بجسده، ثم أردف: «صحيح، قطعة الأرض عند الجبل الجنوبي. سأعيد لك قطعة الأرض الآن، حسنًا؟».

ضحك تودو، لكنه لم يكن يضحك على العم سان بل كان يضحك على ذلك الحمار، فقد رأى تودو السعادة على وجه الحمار الطويل، كانت نوعًا من السعادة المتخفية.

قال تودو في نفسه: «يا حمار، أنت تحب العمل، أليس كذلك؟ ويمكنك أيضًا اختلاس السعادة، أليس كذلك؟ إذن اعمل بينما تختلس السعادة!». ثم استدار وعاد إلى المنزل.

تصير السماء رائعة للغاية وقت الغروب، حين توشك الشمس الغاربة على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السقوط خلف الجبال.

دخل تودو غرفته ونظر إلى «نافذة السقف»، وفكّر: «العم سان سيساعدني في إصلاح المنزل؛ لذا سأستلقي على السرير الليلة، وأشاهد النجوم والقمر، وإذا استطعت رؤية الطائرة المتلألئة فسيكون هذا أفضل!».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني

من أخذ الحمار؟

لم يصلح العم سان غرفة تودو، ليس لأنه رفض إصلاحها بل لأن والد تودو السيد تشن شوي كو قد عاد من المدينة، وعاد هذه المرة لتوظيف بعض العمال.

سار الأب تشن شوي كو ويداه خلف ظهره. ثم توقف ونظر إلى الفتحة في السقف، ثم أشار فجأة إلى الفتحة وصرخ: «هذا لا يُحتمل!»، وصرخ بصوت أعلى: «تشن سان لنغ، هذا كثير!».

وقف تودو بجانب السرير، وبدا مرتبكًا، وقال: «العم سان لنغ لا عَلاقة له بهذا الحادث».

قفز تشن شوي كو تقريبًا وقال: «ما هذا؟ العم سان اسمه تشن سان لنغ. إنه حقًا يريد أن يأخذ قطعة أرضي الثمينة مقابل هذا الحمار المتهالك».

فقال تودو بهدوء: «لا، لقد قال إنه لن يأخذها، كما أن الحمار ليس متهالكًا».

استدار تشن شوي كو قائلا: «يا لك من عنيد!»، وأشار إلى تودو بيده التي أشارت إلى فتحة السقف الآن وقال: «حماره ليس متهالكًا، لكن بيتي صار متهالكًا!».

قال تودو: «أنا من حطمت السقف، والعم سان كان سيصلحه لنا».

«هل سمحت لتشن سان لنغ بإصلاح المنزل لنا؟ أنا لا أعمل في الخارج من أجل لا شيء».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طأطأ تودو رأسه وتوقف عن الكلام. اعترف أنه «عنيد»، وكان يشعر بالحيرة من حديث تشن شوي كو، ولم يفهم كيف يفكّر والده.

حين لم يحصل تشن شوي كو على إجابة من تودو، شعر بالاختناق الشديد ولا سيما حين رأى موقف تودو المسالم، الذي زاده غضبًا. فأشعل سيجارة، ومشى قليلًا ويداه مشبكتان خلف ظهره، ثم دفع الباب بقوة وخرج من المنزل.

عرف تودو أن والده لا بد وأن ذهب إلى المتجر. فهذا المتجر بمثابة مركز لنشر الأخبار، من كان مستاء من أحد يذهب إلى المتجر ليُبديَ استياءه، آملًا أن ينقُل أحدهم رسالة مفادها: «أنا غاضب جدًا من هذا الأمر، والعواقب ستكون وخيمة».

حمل تودو حقيبته المدرسية وذهب إلى مدرسته، وتوقف عن التفكير في هذه المشاكل. خلال هذه الأعوام، عمِل والداه في الخارج، وكانا دائمًا ما يتشاجران وينفصلان ويتصالحان ثم يتشاجران مجددًا وينفصلان ويتصالحان، حتى سئم تودو من الأمر، وكان يُصرُّ دائمًا على عدم الذَّهاب مع والديه إلى المدينة؛ لأنه لم يُرِد الانخراط في مشاكل الكبار، كما أنه يُفضِّل أن يعيش وحده في هدوء. لكن هذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهدوء تدمر بمجرد وصول البالغين إلى المنزل.

بعد يوم عادي في المدرسة، عاد تودو إلى المنزل في المساء، وما إن وصل حتى رأى منزله مُغطًى بطبقة جديدة من بلاط القرميد، فظلَّ مُحدِّقًا فيها ولم يجرؤ على الدخول. بدا الأب تشن شوي كو راضيًا، وخرج من المنزل مُمسكًا بسيجارة في يده، وقال: «تودو، انظر إلى منزلنا الجديد».

حدَّق تودو في المنزل المغطى ببلاط القرميد، والذي بدا وكأنه سيدة عجوز ترتدي معطفًا عصريًا، تمد ملابسها الجديدة بيد وتحجب الملابس القديمة باليد الأخرى، وتبدو مترددة في المضي قدمًا. فلم يتمالك نفسه من الضحك.

رأى تشن شوي كو ابنه تودو يضحك، فضحك هو أيضًا وقال: «هذا صحيح، يجب أن أكون سعيدًا. من يمتلك المهارة مثل والدك؟ في أقل من يوم، أُصلِح المنزل وغُطِّي بالقرميد. هل تعلم؟ أولئك الذين يريدون العمل معي فعلوا ذلك من أجلي. أتعرف ماذا يسمى هذا؟ هذا يسمى الكفاءة!».

توقف تودو فجأة عن الضحك. إنه يشتاق للصعود إلى السطح وأداء واجباته المدرسية وممارسة تمارين الملاكمة، ومشاهدة الحمار عند سفح الجبل.

حدَّق تشن شوي كو في وجه تودو للحظات، ثم ضحك مرة أخرى، وقال: «تودو الساذج، هل تشعر بالحنين؟ ليس عليك الذهاب إلى السطح لممارسة الملاكمة بعد الآن. لا أعتقد أن هناك شخصًا في هذه القرية يجرؤ على التنمُّر عليك».

فكر تودو في نفسه: «لا أحد في القرية يتنمر عليَّ حقًا، عدا شخص واحد في المنزل يتنمر عليَّ!».

دخل تودو المنزل ورأسه مطأطأ، دون أن يتفوه بكلمة.

ضحك تشن شوي كو فجأة وهو ينظر إلى ظهر تودو. إنه في مزاج جيد للغاية الآن، وكل شيء يكون ممتعًا لعينيه بمجرد أن يكون في مزاج جيد.

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، أخذ الأب تشن شوي كو عشرات الأشخاص إلى المدينة.

وبمجرد مغادرة تشن شوي كو، جاء العم سان إلى تودو وهو في حالة ذعر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- «تودو، العم سان لم يتنمر عليك، أليس كذلك؟».

لم يفهم تودو سؤاله وشعر بالحيرة: «لا... لا!».

- «ألم يساعدك العم سان في إصلاح المنزل، أنت لا تضمر أي ضغينة ضدي، أليس كذلك؟».

- «كيف ذلك؟ عاد والدي وأحضر بعض الأشخاص وأصلحوه».

- «إذن سأطرح عليك سؤالًا آخر، هل هذا الحمار متهالك؟».

قال تودو: «لا! إنه حمار جيد».

جلس العم سان فجأة على الأرض، مُمسكًا بصدره كمن يعاني من ألم في صدره وصاح: «تودو، لقد ضاع حماري الجيد، هذه المرة للأبد! لقد بحثت عنه طوال الليل، لقد ضاع حقًا. وآه على حماري!».

تفاجأ تودو وقال: «يا عم سان، هل تشك أنني سرقت الحمار؟».

انفجر العم سان بالبكاء، وأجاب: «أنت فتى صالح، أنا أعلم ذلك جيدًا. لكن حماري أيضًا حمار جيد!».

لم يستطع تودو إلا أن يكون سعيدًا. لقد شعر أن العم سان لنغ مُرتبِك حقًا، ولم يفهم لماذا يتحدث بغرابة هكذا!

رأى العم سان السعادة على وجه تودو، وفجأة وقف على قدميه وعيناه تلمعان، وحدَّق في وجه تودو وقال: «تودو، قل الحقيقة للعم سان، أين حماري؟».

حدَّق تودو في عينيه، دون أن يُبديَ سعادته، وهزَّ رأسه نافيًا وقال: «لا أعرف، أنا حقًا لا أعرف».

فقال العم سان: «تبدو سعيدًا للغاية، بالتأكيد تعرف مكان حماري». ثم أمسك بذراعَي تودو وأردف: «أرجوك يا تودو، أخبرني أين الحمار، لا يمكنك إخفاء تعابير السعادة على وجهك».

لم يدر تودو هل يضحك أم يبكي، وقال: «عم سان، ما رأيك أن أطلب إجازة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليوم، وأساعدك في البحث عن الحمار؟».

ترك العم سان ذراع تودو، وجلس على المقعد المجاور له، مُحدقًا في الزاوية وقال: «يبدو أنك لا تعرف حقًا مكان الحمار. تودو، أنت طالب علم، ساعدني في تحليل هذه المشكلة، إن الحمار لم يضِغ في وقت مبكر ولا في وقت متأخر. لماذا ضاع بمجرد أن غادر والدك؟».

جحظت عينا تودو، صحيح أنه طالب، لكنه لا يفهم هذه الأمور بين البالغين؛ فهمس للعم سان: «يا عم سان، لا تقل هذا ودعني أبحث لك عن الحمار».

رفع العم سان رأسه، وخفضه مرة أخرى، ثم أومأ برأسه مرتين.

ذهب تودو أولًا إلى منزل تشانغ دو فو؛ لأنه أراد أن يطلب من زميلته تشانغ تشون ني أن توصل طلب الإجازة للمدرسة.

أمسك تشانغ دو فو ورقة طلب الإجازة أولًا وألقى نظرة فيها، ثم رسم على ثغره ابتسامة مصطنعة، وقال لتودو: «كيف تطلب إجازة لمساعدة الآخرين في البحث عن حمار؟».

لم يمتلك تودو ردًا.

انتزعت تشون ني طلب الإجازة من يده وقالت: «أبي! جدي هو الذي فقد الحمار!».

تفاجأ تودو، وفهِمَ أن العائلتين أقرباء.

بعد مغادرة منزل تشانغ دو فو، والسير لبعض الوقت، كان تودو مُرتبكًا بعض الشيء، وفكّر: «ما دامت العائلتان أقرباء، فلماذا يتحدث تشانغ دو فو هكذا؟ لماذا لا يمكنني مساعدة العم سان في البحث عن الحمار؟ العم سان رجل كبير في السن، وجاء عندي وتوسل إليّ لأساعده، حتى إنه قال إنني فتًى صالح».

في البداية، بحث تودو عن الحمار داخل قريته؛ حيث لم يترك شارعًا أو زقاقًا إلا وبحث فيه، وظل وجه الحمار الطويل الخجول يلوح أمامه، لكنه لم يعثر على أثر للحمار. تساقطت أوراق شجرة الدردار، ونمت بدلًا منها أوراق جديدة. عند سفح الجبل، نظر تودو إلى العشب الأخضر على الأرض الذي قضمه الحمار، ثم نظر إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنزل المختبئ بين أوراق الدردار الجديدة، وشعر بحزن غامر. وأكثر ما آلمه أنه كان يسمع نهيق الحمار في أذنيه باستمرار، ولكن عندما ينصت باهتمام لم يسمع شيئًا، وإذا لم ينصت، يشعر أن الحمار يناديه في القرية.

سار تودو عائدًا إلى القرية من سفح الجبل، ومنها ذهب إلى قرية أخرى، حيث رأى الحمار عدة مرات ولكن بشكل غير واضح، وحين يهرع لرؤيته عن كثب، يجده بغلًا أو حصانًا.

سار تودو عبر القرى واحدة تلو الأخرى، مرورًا بالمراعي وسفوح الجبال، ثم عاد من سفوح الجبال مرورًا بالمراعي والقرى مجددًا، إلى أن أوشكت الشمس على الغروب. قبل أيام قليلة، كان العم سان يزرع أرضه ومعه الحمار يساعده، والآن تنمو نباتات الذرة في صمت. فتوقف تودو، وجلس القرفصاء وقال لنباتات الذرة: «ألا تعلمين أن الحمار الذي كان يرعاكِ قد ضاع! أنتِ لا تعرفين أي شيء، كيف لا تعرفين؟ سنرى من سيرعاك في المستقبل!».

عضَّ تودو شفته وطأطأ رأسه وسار إلى القرية.

اجتمع الناس حول شجرة الصفصاف في وسط القرية. لكن هذه المرة لم يشاهدوا العم سان يضرب الحمار، فقد ضاع حماره وليس لديه شيء آخر ليضربه، بل كانوا يتحدثون عن مواضيع أخرى بحماس، سمع تودو بعض الأصوات تتحدث عن «تشن شوي كو»، ولكن بمجرد أن اقترب، التزم الجميع الصمت. وما كاد تودو يستدير ليغادر، حتى رآه تشانغ دو فو وصرخ في وجهه: «تودو، لماذا لم تذهب إلى المدرسة؟ أين ذهبت؟». عندما سأله تشانغ دو فو، شكَّ تودو إذا كان هو والد تشانغ تشون ني أم لا، ففي الصباح عندما ذهب إلى منزل تشانغ تشون ني ليعطيَها طلب الإجازة، أخذها والدها تشانغ دو فو أولًا وقرأها وهو يبتسم ابتسامة مصطنعة، ولكنه الآن يتعمَّد أن يسأل تودو بصوت عالٍ!

لم يتضاءل حماس تشانغ دو فو، وقال: «ما الخطب يا تودو، لِمَ تبدو فاتر الهمة هكذا، كمن فقد روحه؟».

قبل أن ينطق تودو بكلمة، سارع شخص بجانبه ليقول: «لا داعي لتسأله، فهو يحب ذلك الحمار للغاية، وبالتأكيد سيشتعل غضبًا لفقده».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال تشانغ دو فو: «العم سان أيضًا يشتعل غضبًا! لم يأكل شيئًا طوال اليوم. رأيته منذ قليل، ورأيت فمه متقرّحًا!».

وهكذا تحول الموضوع إلى العم سان مرة أخرى.

انزعج تودو، وهمَّ بمغادرة المكان، حين سمِع صوتًا يصيح: «الحمار، انظروا جميعًا، إنه ذلك الحمار»، ظن تودو أنه شخص آخر يمزح معه، لكن الجميع وجّهوا أنظارهم إلى أول الشارع، حيث كانت تشون ني تركب فوق ظهر الحمار، وتغمرها أشعة شمس الغروب الذهبية، مما جعلها تبدو مثل عروس جميلة أو جنرال منتصر يمشي متبخترًا نحو القرية.

وعلى الفور ركض رجل بجنون لإبلاغ العم سان.

وقف تشانغ دو فو مشدوهًا فاغرًا فاه يشير بإصبعه إلى ابنته، وعيناه جاحظتان تحدّقان في ابنته تشون ني على ظهر الحمار، ولا ينطق بكلمة.

وقف الحمار أمام الجمع، وقفزت تشون ني من فوق ظهره، وارتدت حقيبتها المدرسية، وصاحت في وجه تودو: «لقد جئت إلى هنا على ظهر الحمار، فلماذا لا تأتي لتسوقه؟ هل طلبت إجازة لتبحث عنه في منزلك؟ أم هل ستنتظر حتى يصطدم بك؟».

وقبل أن يجيب تودو، تقدم تشانغ دو فو وصفع تشون ني على وجهها: «أنتِ فتاة مجنونة، كيف تجرأت على الركوب فوق الحمار؟ ألا تخجلين؟ جدك سيموت قلقًا، وأنتِ تركبين على ظهر الحمار بكل فخر، بل وما زال لديك مزاج للضحك؟».

سقطت تشون ني على الأرض بسبب الصفعة، لكن سرعان ما نهضت ووقفت على قدميها، وقالت لوالدها: «وما الخطأ؟ إنه الحمار الذي التقطته!».

سحب شخص ما الحمار جانبًا، والتفَّ الجميع حوله. ولم يهتم أحد بتوبيخ تشانغ دو فو لابنته، ولكن عندما قالت تشون ني إنه الحمار الذي التقطته، ضحك الجميع.

لم يحدث أي تغيير في الحمار، فقط كان فمه مُطوَّقًا بطَوق مَغدِني، يمنعه من تناول الطعام بحرية، بعد أن ضحك الجميع لبعض الوقت، انحنَوا ليتفحّصوا هذا الطوق المَغدِني.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعر تشانغ دو فو بخيبة أمل، لكن بدا على ملامحه أنه لن يدع الأمر يمر ببساطة، لذلك أصرّ على سؤال تشون ني: «من أين التقطت هذا الحمار؟».

خلعت تشون ني حقيبتها المدرسية ودفعتها إلى تودو ليحملها عنها، ففزِع تودو، وظنّ أنها ستتشاجر مع والدها، لكنها حركت ذراعيها بضع مرات، ثم سحبت تودو وهي تقول له: «هيا، لنذهب، سأخبرك بواجباتك المدرسية».

في هذا الوقت، جاء العم سان راكضًا، يسنده عدة أشخاص، وهرع نحو الحمار يصيح بصوت أجش: «يا حماري! مَن وضَعَ طَوقًا على حماري؟».

لم ينطق أحد، ونظر الجميع إلى العم سان وهم يضحكون.

فجأة اشتعل العم سان غضبًا وصاح: «من وضع طوقًا على فم حماري؟ من الشرير الذي فعل ذلك؟ هل يتعمَّد تجويعَ حماري حتى الموت؟».

ضحك الجميع باهتمام وحتى الآن لم يتحدث أحد.

أدارت تشانغ تشون ني رأسها وقالت: «يا جدي، عندما وجدت الحمار كان هذا الشيء على فمه. فأزلته وأطعمت الحمار حتى شبِع، ثم وضعتُه مرةً أخرى خوفًا من أن يأكل المحاصيل على جانب الطريق»، ثم سحبت تودو وواصلت سيرها.

التفت العم سان إلى تشون ني وسألها: «تشون ني، أخبري جَدَّك أين وجدتِ الحمار؟».

فأجابت تشون ني دون أن تنظر إلى الوراء: «في وادي الجبل الشمالي. لو لم أجده، لكان مات من الجوع حقًّا!».

جلس العم سان على الأرض، وربَّت على فخذه بيديه وقال: «لمَنْ أسأتُ حتى يرسلَ حماري إلى الوادي الشمالي؟! وأيضًا وضع طوقًا على فمه! إذا كان هناك من يحقد عليّ، فليواجهني، لماذا يعذِّب حماري؟».

ثم بدأ الناس يتفرقون وهم يضحكون.

تبع تودو تشون ني حاملًا حقيبتها، وبعد أن مدَّ رقبته عدة مرات، سألها بصوت خافت: «هل الواجبات اليوم كثيرة؟».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نظرت تشون ني إلى تودو، وضحكت بصوت عالٍ، وقالت: «تودو الساذج، أنت حقًا عنيد!».

رفع تودو رأسه ونظر إليها كمن وقع عليه الظلم: «ألم تقولي إنك ستخبريننني بالواجبات المدرسية؟».

ضحكت تشون ني مرة أخرى، وقالت: «إذا لم تأتِ لإنقاذي، فمَنْ كان سينقذني، ويشاهد والدي يضربني حتى الموت؟».

شعَرَ تودو بالخجل لبعض الوقت، وعانق الحقيبة المدرسية بين ذراعيه وسأل بحذر: «والدك... لم يؤذِك، أليس كذلك؟».

- «لا بأس، لقد استعددت مسبقًا».

أخذت تشون ني حقيبتها من بين ذراعَي تودو، وحملتها على ظهرها، وتابعت: «وقعت صفعة والدي على حقيبتي المدرسية!».

بلع تودو ريقَه، ولم يعرف ماذا يقول.

قالت تشون ني بحماس: «لقد هربت من المدرسة بعد الظهيرة أيضًا».

اتسعت عينا تودو وهو يُفكّر: «تشون ني فتاة، كيف لها أن تورّط نفسها بالهروب من المدرسة؟».

اقتربت تشون ني بوجهها المتوزد، لتراقب تودو وسألته: «هل أخفتك؟ هل تعرف ماذا فعل صفنا اليوم؟ العمل البدني، هل تعرف لمن عملنا؟ لمدير مركز الشرطة، لقد استأجر عشرات الفدادين، في الخريف، طلب منا أن نحصد الذرة وننزع الحبيبات منها، والآن، يريدنا أن نخفُف كثافة الأعشاب، ونجتث العشب الضار، على أي أساس؟ قل لي على أي أساس؟ لذلك، ركضت إلى الوادي الشمالي للعب، وعثرت أيضًا على حمار جدي، ها ها ها».

كانت تشون ني تشير بيدها وهي تحكي ما حدث، وكانت في غاية السعادة.

ظلَّ تودو ينظر إلى تشون ني بعيون واسعة. فهو لم يتصور أبدًا أن الفتاة التي عادة ما تبدو هادئة جدًا ستقول وتفعل مثل هذه الأشياء. لقد أثار هذا إعجابَه حقًا!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الحقيقة، تودو لم يلحظ تشون ني من قبل، والآن، ينظر إلى مظهرها السعيد، وهي تصف له ما حدث وتشير بيديها الصغيرتين، كلما نظر إليها شعر أنها جميلة حقًا، حتى إنه الآن يرغب بشدة في حَفل حقيبتها بين ذراعيه مجددًا، إذا أرادت ذلك.

في صباح اليوم التالي، غادر تودو منزله مبكرًا جدًا إلى المدرسة، لعله يلتقي بتشون ني في الطريق. لقد التقَوا عدة مرات في الطريق من قبل، لكنهم لم يتحدثوا كثيرًا. الآن الأمر مختلف، حيث يمكنهم التحدث عن الهروب من المدرسة، والتحدث عن الوادي الشمالي، والتحدث عن ذلك الحمار. لكن طَوال الطريق إلى المدرسة لم يقابل تشون ني. حتى أوشكت الحصة أن تبدأ، حينها رأى تشون ني وهي تدخل الفصل منكسة الرأس.

حدَّق تودو الذي يجلس في الصف الخلفي من الفصل في تشون ني، على أمل أن ترمقه بنظرة. لكن تشون ني سارت إلى مقعدها وجلست وأخرجت الكتب وأدوات الكتابة في صمت، استعدادًا لبدء الدرس. نظر تودو إلى ظهر تشون ني، ولم يتمكن من ربط تشون ني التي تجلس أمامه الآن بتشون ني التي كانت تركب على ظهر الحمار بالأمس.

عندما انتهى الدرس، خرج تودو من الفصل عدة مرات، ومرَّ بجانب تشون ني عدة مرات، لكنه فشل في جذب انتباهها. وفي مرة، اصطدم تودو بطاولة تشون ني، ومع ذلك، لم تنظر إليه، بل سندت الطاولة بيدها، ثم واصلت القراءة ورأسها لأسفل.

عاد تودو إلى مقعده وحاول أن يتذكر كيف كانت تشون ني في الصفوف السابقة، لكنه لم يتذكَّر شيئًا. ربما كانت هكذا من قبل؟

بعد انتهاء الحصة الثانية، بدأت رياضة فترة الاستراحة. لم تخرج تشون ني لأداء التمارين، وانكبَّت على الطاولة. ذهب تودو إلى المرحاض بعد أداء التمارين في الملعب، ثم عاد إلى الفصل، حينها رأى قائد الفصل يتشاجر مع تشون ني. قائد الصف فتى طويل القامة قوي البنية. صاح في وجه تشون ني: «لقد هربتِ من المدرسة وقتَ العمل، وتنامين في الفصل في فترة أداء التمارين. أنت تُلحقين العار بصفنا، وبسببك يخسر صفُّنا درجات. ماذا تريدين بالضبط؟»؛ فأجابت تشون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ني: «لا أريد شيئًا، لا أشعر أنني بحالة جيدة لذا لم أمارس التمارين، ولست مجبرة على العمل. ماذا تريد أنت يا قائد الفصل؟». احمر وجه القائد غضبًا. أما عن وجه تشون ني؛ فأخيرًا تمكّن تودو من رؤية وجهها بوضوح الآن، وما إن رآه حتى فزِع من شكله؛ فقد كان نصف وجه تشون ني أزرق، وعيناها حمراوان ومنتفختان. فدفع تودو زملاءه الذين يقفون أمامه جانبًا، وأمسك بملابس قائد الفصل: «يا قائد الفصل، أنت لئيم وقاسٍ!».

ذُهل قائد الفصل، وكذلك الطلاب من حوله. لم يتوقع أحد أن يأتيَ تودو ويتشاجر مع قائد الفصل. لكن تودو لم يتشاجر مع أحد من قبل، لذلك أمسك بملابس قائد الفصل ولم يعرف ماذا يفعل بعدها.

ابتسم قائد الفصل. وما كاد تودو يُرخي يده التي تمسك بملابس قائد الفصل حتى صفعه قائد الفصل على وجهه. صار كل ما أمام تودو أسود، فترك ملابس قائد الفرقة، وترنَّح قليلًا ثم سقط على الطاولة خلفه.

عدَّل قائد الفصل ملابسه وقال: «تودو السخيف، هل تلعب دور البطل الذي يُنقذ الجميلة؟».

ضحِك كلُّ من حوله، وهزَّ قائد الفصل كتفيه وهمَّ بالمغادرة.

نهض تودو بصعوبة وقال لقائد الفصل: «لا بأس... قائد الفرقة، ارجع، أنا ألعب الملاكمة، وهناك ضربة لم أستخدمها».

عندما استدار تودو، وجد تشون ني تبكي ودموعها تسيل على نصف وجهها المصاب بالكدمات.

تقلصت شفتا تودو من الألم، وقال: «هل أنتِ بخير؟ هو... لماذا قائد الفرقة هذا قاسٍ للغاية؟».

حدَّقت تشون ني فجأة في تودو بعينيها الحمراوين المنتفختين، وصرخت في غضب: «تودو! أبي هو من ضربني هكذا!».

فوجئ تودو: «لماذا؟ والدك... لماذا ضربك؟».

صرخت تشون ني بصوت مبحوح، كما لو أنها استخدمت كل قوتها: «لماذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضربني؟ هل ما زال عليّ أن أوضح لك؟ تودو، هل والدك تشانغ شوي كو هو من سرق الحمار، وما زلت تتظاهر بأنك شخص طيب وتساعد جَدي في البحث عن الحمار طَوال اليوم؟».

شعر تودو بالدوار، وجلس على الأرض. وقعت كلمات تشون ني عليه كالصاعقة، وكانت أقسى من صفعة قائد الفصل، لدرجة أنه لم يستطع الوقوف.

في المساء بعد انتهاء اليوم الدراسي، رأى تودو عند بوابة المدرسة تشانغ دو فو؛ لقد باع الجبن كله، وقاد العربة وأتى إلى المدرسة لاصطحاب تشون ني. فكّر تودو في كلمات تشانغ دو فو الساخرة التي قالها الليلة السابقة وما قالته تشانغ تشون ني في الفصل. أراد تودو أن يتجنّبه، لكن تشانغ دو فو جاء والابتسامة تملأ وجهه وقال: «تودو، اتصلت بوالدك اليوم. وسأل عليك أيضًا، وقلت له إنك بأفضل حال، ها ها ها».

شعر تودو بغرابة شديدة، وأدار رأسه فرأى تشون ني تخرج من فناء المدرسة، لكنها وجهت نظرها جانبًا بكبر، وسارت إلى الجانب الآخر من الطريق.

يوجد هاتف عمومي في المتجر الصغير في القرية. لم يتصل تودو بوالديه منه مطلقًا، هما مَن يتصلان به إذا حدث أي شيء، ويطلبان ممن استقبل المكالمة إبلاغ تودو برسالتهما، حيث يحددان موعدًا يأتي فيه تودو إلى المتجر ثم يتصلان به في ذلك الوقت. في السابعة مساءً، ردَّ تودو على الهاتف في المتجر، وكان والده تشن شوي كو هو من يتصل.

سأل تشن شوي كو على الطرف الآخر من الهاتف: «هل الناس في القرية يشتبهون في أنني سرقت حمار تشن سان لنغ؟».

سكت تودو بعض الوقت، ثم سأله بعد أن فكّر مليًا: «إذن هل سرقته؟».

فضحك تشن شوي كو وقال: «أردت حقًا أن أسرق الحمار وألقّن تشن سان لنغ درسًا! لكن هذا النوع من الأمور التافهة لا أفعله بنفسي. لقد ذهبت فقط إلى المتجر لأنفّس عن غضبي، ووجدت من يفعل ذلك من أجلي».

اضطرب تودو فجأة: «من؟ من فعل ذلك؟».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خفض تشن شوي كو صوته وقال: «ستتفاجأ إن أخبرتك». ثم أردف: «إنه تشانغ دو فو».

- «ماذا؟ كيف عرفت أنه هو من قام بذلك؟».

ضحك تشن شوي كو وقال: «وكيف لا أعرف؟ تشانغ دو فو في الأساس ليس على وفاق مع تشن سان لنغ، وحين عرف أنني غاضب من تشن سان لنغ، سرق الحمار ليتقرَّب مني؛ لأنني لم يكن لدي نية في أخذه إلى المدينة، فأنا أعتقد أنه غبي».

فقال تودو: «لكنهما أقارب، وفي الحقيقة، لا يمكنك توظيف مثل هذا النوع من الأشخاص».

لم يضحك تشن شوي كو هذه المرة، ربما تعِبَ من الضحك، وقال: «لماذا تشانغ دو فو معروف بأنه يضحي برابطة الدم من أجل الحق؟ ألا يستخدم هذه الطريقة للتعبير عن صداقته معي؟ اليوم اتصل بي وأخبرني أنه سرق الحمار، فوافقت على الفور أن يأتيَ إلى موقع العمل غدًا. لا تخبر أحدًا عن هذا».

أراد تودو أن يقول شيئًا، لكنه ابتلع كلماته بعدما وصلت إلى شفتيه. ولسبب ما، خطرت تشون ني على باله في تلك اللحظة، وقال بصوت ضعيف: «من سأخبر؟ لقد فات الأوان».

فسأله تشن شوي كو بصوت عالٍ: «فات الأوان على ماذا؟».

ترك تودو الهاتف، وخرج من المتجر وهو يبكي بشدة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

المقال المرهق

بعد هطول الأمطار الخفيفة، بدأت درجات الحرارة ترتفع بشكل مستمر. قفزت الشتلات الصغيرة من الأرض، وكما لو كان في غمضة عين، صارت الذرة الخضراء بالفعل في ارتفاع الخصر.

وأوراق شجرة الدردار التي تغلغلت بهدوء عند سفح الجدار أو على جانبي الطريق، كوّنت طبقة من الأوراق الصفراء، وفي غضون أيام قليلة صارت في طول شجرة صغيرة يبلغ ارتفاعها شبرًا واحدًا.

كان تودو عائدًا إلى المنزل يحمل حقيبته المدرسية، حين رأى الدخان يتصاعد من سطح منزله، واغصان واوراق شجرة الدردار العجوز في الفناء تلمع تحت أشعة الشمس، وكأنها تخبر تودو بشيء جديد.

Telegram:@mbooks90

كان الباب مفتوحًا، ووالدة تودو تطبخ الطعام. حدّقت بعينيها عندما دخل تودو إلى الفناء.

سار تودو إلى باب المنزل وتوقّف، فنظرت أمه إليه وابتسمت قائلة: «لقد عدت؟».

أومأ تودو برأسه، وأراد أن يبتسم أيضًا، لكنه لم يفعل. وقال لأمه: «هل عدتِ أنتِ أيضًا؟».

خفضت الأم رأسها لتضع الحطب في الموقد وقالت: «تعالَ، أختك تنتظرك في الغرفة».

دخل تودو إلى المنزل وسأل وهو يسير: «متى ستغادران؟».

رفعت الأم رأسها ونظرت إلى تودو وقالت: «لا أعرف»، ثم وضعت الحطب في الموقد بقوة، وأردفت: «ربما لن نغادر. حدث شيء ما في موقع البناء، وهرب والدك ورئيس العمال».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذهل تودو للحظة وواصل سيره إلى داخل المنزل. قفزت أخته تشن شياويو من الغرفة، وعانقت ساق تودو، ثم اندفعت وخطفت حقيبة تودو المدرسية وحملتها على جسدها. فأحنى تودو ظهره وحمل أخته وحقيبة المدرسة معًا، فتعالت ضحكات أخته التي جعلت قلبه يلين.

عادت والدة تودو وأخته، وصار المنزل يفيض برائحة البيت، ولكن هذه السعادة لم تدُمْ طويلًا، فأولئك الذين وظّفهم والد تودو من القرية بدأوا يعودون واحدًا تلو الآخر، ويتوافدون إلى منزل تودو. يسألون والدته عن أخبار تشن شوي كو. في الحقيقة، كانوا يريدون أموالهم. فرئيس العمال وتشن شوي كو كلاهما مدين لهم بالمال. لذلك، تناوبوا على الإقامة في منزل تودو، ولم تعد والدته ترغب في الطهي بعد أن صارت مشحونة بالهموم التي أثقلتها من كثرة شكواهم.

قالوا لها: «يا زوجة الأخ، عندما وظّفنا شوي كو في المدينة، اتفقنا على أن يدفع لنا يوميًا ونقدًا، لكن لمَ هو مدين لنا؟»، وقالوا أيضًا: «يا زوجة الأخ، لقد كنتِ في موقع البناء، وتعرفين أيضًا كم أن العمل شاق هناك. أجورنا تتأخر يومًا بعد يوم،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وديوننا تزداد، وماذا قال شوي كو؟ نعم، لقد قال: (لن أتخلى عنكم يا أبناء قريتي)، ومع ذلك، تخلّى عنا!».

وقفت والدة تودو مُثقلةً بالهموم لا تنطق بكلمة.

وقالوا أيضًا: «يا زوجة الأخ، ألم تقنعينا أنت أيضًا في البداية؟ والنتيجة، هرب تشن شوي كو، ولم يكن من السهل علينا ترك بيوتنا وأعمالنا. يا زوجة الأخ، أخبرينا أنتِ ماذا علينا أن نفعل؟».

لم تعرف والدة تودو ماذا تفعل. لقد أتَوا تباعًا، يُدخِّنون علبة تلوَ الأخرى من السجائر التي أخرجتها لهم والدة تودو. في وقت لاحق، أرادت والدة تودو أن تُدخِّن أيضًا، لم تجد سوى علب سجائر فارغة على الأرض وفوق السرير. قالت: «أنتم تعلمون، أن شوي كو ليس مدينًا لكم بالمال فحسب، بل مدين لي أيضًا! لقد انفصلنا أنا وشوي كو مرة أخرى. لذا، إن كنتم تريدون أموالكم، فاذهبوا وابحثوا عنه!».

ذُهل هؤلاء الناس عندما قالت والدة تودو ذلك، وبدت سَوْرةُ الغضب في أعينهم. في الواقع، لقد أرادوا أن يغضبوا منذ فترة طويلة، كما لو كانوا ينتظرون حديث والدة تودو لإثارة غضبهم، فبدأوا يسبُّون ويلعنون وأرادوا هدم المنزل، وعلى رأسهم تشانغ دو فو، الذي حمل السلم، وأراد أن يصعد إلى سطح المنزل وينتزع القرميد.

وقفت والدة تودو في الفناء تسبه: «تشانغ دو فو، هل نسيت كيف وصلت إلى موقع البناء؟ تشن شوي كو ليس إنسانًا بفعلته تلك، لكنه لم يربطك بحبل ويسحبك إلى المدينة. حتى حيوانات الجر تهتم بالروابط العائلية، أما أنت، أيعقل أنك لم تصل بعد إلى مستوى الحمار؟».

كانت كلمات والدة تودو قوية حقًا، لكن يبدو أن تشانغ دو فو استعدَّ لهذا مبكرًا؛ إذ لم يتأثر بحديثها. واستمر في صعود السلم. وعندما صعد إلى الطابق الاول، ضحك للناس في الأسفل. وعندما صعد عند السطح، توقف، وقال لوالدة تودو: «يا زوجة الأخ، أنتِ على حق. أنا لا أهتم بالروابط العائلية. أنا فقط أريد المال! لقد خدعنا تشن شوي كو، لا يمكنني أن أجده، ولكن يمكنني أن أجد منزله!».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت والدة تودو تلهث وتحاول التقاط أنفاسها، ووجهها صار شاحبًا، ولم تستطع النطق بكلمة واحدة.

تزايد عدد الناس. كان يوم الأحد، يوم إجازة الأطفال، فركض جميع الأطفال إلى منزل تودو أيضًا. كان تودو أيضًا في المنزل في إجازة، وكان يستند إلى جدار قصير في الفناء ينظر إلى مكان بعيد بنظرات فارغة. ركضت أخته شياويو مع مجموعة من الأطفال إليه، وسألته: «أخي، ماذا يحدث في منزلنا، لماذا هو مزدحم جدًا؟»، فسحبها تودو وأقعدها جانبه.

قال تشانغ دو فوو بأعلى صوته وهو يقف على السلم وظهره مستقيم: «انظروا جميعًا، سطح منزل شوي كو مُغطًى بالقرميد الجديد، من أين له بالمال؟ إنها أموالنا نحن التي جنيناها بشق الأنفس. لقد هرب بعيدًا، ويجب أن ننتزع كل هذا القرميد لنفضحه قليلًا، ونجعله يتألم مثلنا». وما كاد يفعل ذلك حتى خرج العم سان من بين الحشد، وصاح فيه يوبّخه ويسبه: «أنت أيها الوغد، تضع طوقًا على فم حماري وتخبّئه في الوادي الشمالي، هل كنت تعتقد أنني لم أعرف؟ لقد عرفت من الوهلة الأولى أن هذا الطوق يخصك، لم أسوِّ حسابي معك بشأن الحمار بعد، وأنت تذهب إلى منزل الآخرين تلعب دور القرد!».

التف تشانغ دو فو، ونظر بعين حولاء إلى العم سان في الأسفل، وقال ضاحكًا: «يا حماي، أنت حقًا بارع في السب، لكن لولا أن في عمر الحمار بقية، لتحول إلى كومة من العظام منذ فترة طويلة».

صرخ العم سان: «نذل!»، وركل السلم فسقط، وسقط تشانغ دو فو من فوقه مثل طائر كبير!

بعد تسميد الذرة، وغلق الممرات الترابية بين الحقول، جاء موسم الفراغ الزراعي، واجتمع جميع أهل القرية من نسائها ورجالها وكبارها وصغارها يلعبون الماجيانغ((1)) طوال اليوم.

كما انضمت والدة تودو إلى صفوف لاعبي الماجيانغ. فمعظم أراضي أسرة تودو استأجرها آخرون لزراعتها، ولم يبقَ سوى قطعة الأرض عند الجبل الجنوبي وقد زُرعت بالذرة وفول الصويا، وليس هناك أي نشاط زراعي مستعجل. وعندما عادت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والدة تودو إلى المنزل، كانت تشعر بالملل والاختناق لبضعة أيام. لكن بعد الضجة التي أحدثها تشانغ دو فو، حزرت نفسها ببساطة ولم تعد تشعر بالملل، ودعت عدة أشخاص ليأتوا إلى المنزل ويلعبوا الماجيانغ.

عندما عاد تودو إلى المنزل بعد المدرسة، وجد المنزل مليئًا بالدخان، ومجموعة من الناس يجلسون على السرير يلعبون الماجيانغ بينما أخته الصغرى شياويو نائمة في زاوية السرير. وكان هؤلاء الناس يلعبون ويستمتعون بوقتهم كما لو أنهم في منزلهم الخاص. ذهب تودو إلى المطبخ لتسخين بعض الطعام، وعندما حمل الوعاء وبدأ يتناول الطعام، فجأة تذكر أن أخته قد تكون جائعة أيضًا، فذهب إلى الغرفة وأيقظ أخته ليتناول الطعام معها.

لم تفتح شياويو عينيها بالكامل بعد بينما كانت تمضغ الطعام، وقالت لأخيها: «أخي، أنت لطيف للغاية، كيف عرفت أنني جائعة؟».

شعر تودو بالألم، ولم يستطع ابتلاع الطعام الذي كان يمضغه.

- «أخي، هذه الوجبة الساخنة لذيذة جدًا! يا أخي... ما خطبك؟».

ابتلع تودو الطعام في فمه بصعوبة، وقال وصوته يختنق بالدموع: «لا بأس يا أختي، متى ما تشعرين بالجوع، أخبري أخاك، فالشعور بالجوع لا يمكن تحمله، وأخوك سيطهو لك الطعام، وسيطبخ لك المعكرونة سريعة التحضير أيضًا».

ظلّ المنزل على هذه الحال لعدة أيام، كُلّما عاد تودو يجده مليئًا بالدخان، ويجد أعدادًا أكثر من الناس الذين أتوا للعب الماجيانغ والاستمتاع، وكانوا يضحكون ويمرحون، يشعرون بالحرية والراحة. فعندما يشعر أحدهم بالتعب يستلقي على السرير وينام، وإذا كان أحدهم في عجلة من أمره، يأخذ بطاقات شخص آخر ويلعب بها، وإذا شعر أحدهم بالجوع يذهب إلى المطبخ ويصنع الطعام لنفسه، هناك أيضًا عدد قليل من الأشخاص الذين لا يلعبون الماجيانغ أو يشاهدون اللعبة. فقط يجلسون على الأرض يتناقشون من يجب عليه دفع النفقات الطبية لتشانغ دو فو بعد أن سقط من السلم وأصاب ساقه.

إذا كان تودو يحلم الآن، لاعتقد أن هذا ليس منزله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي الليل، وبينما كان تودو يذاكر دروسه في المطبخ، ثقلت أجفانه فنام على كومة من الحطب، وكاد يغرق في النوم، لكنه استيقظ على صوت شجار. وعندما أنصت، سمع الذين يلعبون الماجيانغ في الغرفة يتشاجرون.

وصاح بعضهم: «لا تلعبوا إذا كنتم لا تملكون المال للعب، فعلى الحساب تعني أنكم ستنكرون الدين، وأنتم جميعًا تتصرفون على هذا النحو، لا يخاف الخنزير الميت من الماء المغلي، ولن تسددوا ديونكم، أليس كذلك؟».

وفجأة سمع صوت سقوط الماجيانغ على الأرض، تبعه صوت سقوط الطاولة أيضًا؛ ففزعت شياويو التي كانت نائمة في زاوية السرير، وانفجرت بالبكاء. اشتعل تودو غضبًا، وأخذ العصا التي تستخدم في تحريك الحطب داخل النار، واندفع داخل الغرفة يصيح: «من؟ من أسقط طاولتي؟».

كانت الطاولة ملقاة على الأرض مكسورة نصفين، لن يستطيع تودو أن يأكل أو يؤدي واجباته المدرسية عليها مرة أخرى.

كانت العصا في يد تودو تشبه سيف حرب، وهي تشير إلى الوجوه المذعورة على السرير وعلى الأرض: «من؟ من أسقط طاولتي؟ من الذي أفزع أختي؟ من؟».

اتكأ بعض الناس على الجدار وخرجوا خزائن متجهمين. بينما انزلق الأشخاص الجالسون على السرير إلى الأرض، وارتدوا أحذيتهم في عجالة وانسلوا إلى الخارج.

أشار تودو إلى ظهورهم بالعصا وقال: «أنا أخبركم، هذا منزلي، هذا منزل تودو!».

غطس هؤلاء الناس في ظلام الليل دون أن يلتفتوا إلى الوراء، وبعد فترة سمع نباح الكلاب، لكن سرعان ما ابتلعهم الصمت جميعًا.

وضع تودو العصا من يده في وهن، حتى إنه سمع طنينًا في أذنيه بسبب هذا السكون المفاجئ.

كانت والدة تودو تتكئ على السرير وتدخن سيجارة، وكانت حافة النافذة مليئة بأعقاب السجائر التي تشبه الرصاصات. كانت تنظر إلى الظلام اللامحدود في الخارج: «أنا من كسرت الطاولة. سأذهب إلى المدينة غدًا وأبحث عن تشن شوي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كو. حتى لو كان يختبئ تحت الأرض، سأنقب عنه وأخرجه!».

قفز تودو على السرير وعانقَ أخته التي كانت منكمشة في الزاوية، وقال لها مطمئنًا إياها: «لا تبكِ يا أختي، سيُعد لك أخوك بعد قليل المعكرونة سريعة التحضير».

قبل الامتحانات النهائية، أعطت المدرسة لطلابها إجازة لمدة يومين. سافرت والدة تودو إلى المدينة للبحث عن تشن شوي كو، ووضعت المنزل تحت مسؤولية تودو. رتب تودو أن تخرج أخته لتلعب، بينما يذاكر دروسه. وأثناء مذاكرته، خطرت تشانغ تشون ني على باله فجأة. فخلال هذه الفترة، حدثت الكثير من الأمور خارج المنزل وداخله، ولم يفكّر في تشون ني لفترة طويلة، ولكنه الآن يفكر فيها، ويرى مشهد ركوبها على الحمار في ذلك اليوم.

فجأة صارت الأجواء متوترة، عندما سمع صوت صفارة إنذار سيارة شرطة تدخل القرية.

خفق قلب تودو بشدة، ولم يعد بإمكانه قراءة الكتاب، فركض إلى الفناء. اعتقد الكثير من الناس أنهم هنا للقبض على لاعبي القمار، فهربوا وركضوا إلى جانب الطريق تاركين طاولة الماجيانغ. ركضت شياويو إلى المنزل في خوف، واتكأت على تودو ولم تجرؤ على التحرك.

توجهت سيارة الشرطة مباشرة إلى منزل العم سان. ثم ترجَّل منها مدير مركز الشرطة، وخلفه اثنان من رجال الشرطة ودخلا إلى المنزل. تجمَّع الناس حول منزل العم سان وبدأوا يتجادلون.

أمسك تودو يد أخته وذهب ليسمع ويفهم ما يحدث؛ فعرف أن تشانغ دو فو هو من رفع دعوى ضد العم إلى مركز الشرطة. كان الجميع يتناقشون، بينما خرج الشرطيان ممسكين بالعم سان من ذراعيه. وكان العم سان لا يزال يقفز ويصرخ: «والد يلقن زوج ابنته درسًا، ما المشكلة في ذلك؟ أنا قانون الأسرة، فكيف انتهكت قوانين الدولة؟».

دفع الشرطيان العم سان إلى داخل سيارة الشرطة، وكان لا يزال يصرخ بيأس: «هل تقبضون عليّ، لأنني ركلت السلم وأسقطته؟ هو أيضًا سرق حماري!».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نظر مدير مركز الشرطة إلى العم سان وقال له: «قل ذلك في مركز الشرطة!»، ثم ابتسم للناس المسنين الذين يقفون أمام المنزل، ودفع الباب يُغلقه. وبعد ذلك، انطلقت سيارة الشرطة مطلقةً صَفّارةَ الإنذار.

في اليوم التالي، عاد العم سان من مركز الشرطة. ودون أن ينبسَ بكلمة، قاد الحمار ومشى في القرية، حتى وصل إلى باب منزل تودو وتوقَّف، ثم صاح: «تودو، يا تودو... تعالَ وانظر إلى هذا الحمار، بعد قليل لن يُلقب بـ «تشن»!».

ركض تودو خارج الغرفة وسأل العم سان متعجبًا: «هل عدت يا عم سان؟ ماذا ستفعل؟».

حدَّق العم سان في تودو لفترة طويلة، ثم قال: «أسدد الدين، أسدد الدين الذي كنت مدينًا به في حياتي السابقة!». ثم مسح عينيه بكمه واستمر في قيادة الحمار إلى الأمام. شاهد بعض الناس العم سان وهو يعود من مركز الشرطة وجاؤوا لاستقباله بفضول، في الواقع، أرادوا معرفة كيف تعامل مع القضية. لكن العم سان لم يرفع رأسه، ولم يقل سوى: «أسدد الدين، أسدد الدين الذي كنت مدينًا به في حياتي السابقة!». هناك من ابتسم وهزَّ رأسه تعبيرًا عن عدم فهمه لما يقول، وهناك من تبعه ليشاهده فقط.

شعر تودو بالأسى على العم سان، وكذلك الحمار الذي يسير خلفه. لم يكن يعرف إلى أين سيقود العم سان الحمار؛ لذلك لم يستطع تحمُّل ترك العم سان وحماره وحدهما، وسار خلفهما. وكانوا كلما تقدموا زاد عدد الناس الذين يتبعونهم، ولم يكن في فم العم سان سوى جملة واحدة: «أسدد الدين، أسدد الدين الذي كنت مدينًا به في حياتي السابقة».

سار العم سان في القرية كلها وهو يقود الحمار حتى وصل إلى باب منزل تشانغ دو فو، فصاح باتجاه المنزل: «تشانغ دو فو، وفقًا للحُكم الذي أصدره مركز الشرطة، هذا الحمار لك. صرنا متساويَين الآن!». وبعد أن أنهى جملته، ترك لجام الحمار والتفَّ وغادر.

فهم الناس في الحال، وما كادوا يتفرقون، حتى شاهدوا الحمار يتبع العم سان مرة أخرى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فضحك الجميع، عدا تودو لم يضحك.

فاستدار العم سان وقال للحمار: «يا حماري، ألم أخبرك أن سيدك الحالي هو تشانغ دو فو، وليس أنا، ما تفعله سيُودي بي إلى السجن، هل تقبل بذلك؟».

نكس الحمار رأسه ولم يُصدِر صوتًا، وتودو -الذي كان يتبع الحمار- نكّس رأسه أيضًا، وشعر بالحزن لدرجة أنه أراد البكاء.

سحب العم سان لجام الحمار، وسحبه مرة أخرى إلى باب منزل تشانغ دو فو، لكن هذه المرة ربطه في عامود بجانب الباب. وفتح فمه ليقول شيئًا، لكنه لم يقل شيئًا، ثم نكّس رأسه وغادر مبتعدًا.

لم يرجع العم سان إلى منزله رغم أنه كان قريبًا منه. كان تودو يفهمه جيدًا، فهو يعرف أن العم سان لن يتحمل رؤية سقيفة الحمار وإناءه وعربته بدون الحمار؛ لذلك أخذ تودو العم سان إلى منزله. وبعد أن وصلا، بمجرد أن دخل العم سان منزل تودو، بدأ في البكاء: «يا تودو، لقد سددت ديني بالحمار، وليس لدى العم سان حمار الآن!». كان يبكي بينما يتحدث: «يا تودو، هذه المرة، ليس لدى العم سان أي شيء، يا تودو، لن يعيش الحمار جيدًا بين يدي تشانغ دو فو».

حدّق تودو في العم سان، ولم يقدر على النطق بكلمة، لكنه يتألم بسبب بكاء العم سان.

في المساء، ذهب تودو بهدوء إلى منزل تشانغ دو فو، راغبًا في رؤية الحمار. ولكن بمجرد أن اقترب من جدار الفناء رآه الحمار أولًا، وحالما رآه أخذ يضرب بحوافره الأربعة على الأرض، ويحرّك رقبته ليتحرر من اللجام. فاستدار تودو على الفور وغادر، وبينما يغادر نهق الحمار من خلفه، فتوتر تودو وراح يتصبّب عرقًا. وعندما مرّ تحت شجرة الصفصاف، وجد مجموعة من الناس يتجادلون حول مصير الحمار. فقال أحدهم: «بالتأكيد سيجعل تشانغ دو فو الحمار يقوم بأكثر الأعمال إرهاقًا!»، وأضاف: «سيجعله يجرُّ المطحنة في الليل والعربة في النهار. ولن يسمح له بالراحة ولو للحظة واحدة!»، وقال شخص آخر بصوت عالٍ: «لا، بالتأكيد تشانغ دو فو سيقتل الحمار ليتخلص من الحقد المكنون في قلبه!». لم يعرف تودو من أين جاء هذا الحقد، وفجأة شعر بالعجز.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في اليوم التالي، استجمع تودو قواه وذهب إلى المدرسة لإجراء الامتحان النهائي.

عندما قرأ تودو عنوان المقال: «أمتلك...»، الذي يجب أن يكتب فيه في امتحان المقال، شعر بألم في قلبه؛ لأنه تذكر الحمار الذي كان ملكه ذات مرة، والأوقات التي كان يختلس فيها السعادة.

بدأ تودو كتابة المقال:

«في طريق عودتي إلى المدرسة في ذلك اليوم، رأيت مجموعة من الناس تحيط بشجرة الصفصاف في وسط القرية. لم أرغب في الوقوف ومشاهدة ما يحدث، لكني رأيت حمارًا مُقيَّدًا في شجرة الصفصاف».

وبينما يفكر تودو فيما يكتبه، تخيل أمامه مشهد دائرة من الناس تحيط بشجرة الصفصاف، بعضهم يتفرج من أجل المتعة، والبعض الآخر يريد شراء لحم الحمار. كان تشانغ دو فو هو من قاد الحمار إلى الشجرة وأراد أن يقتله. وصاح العم سان وهو يركض ناحية الشجرة: «يا للمصيبة، هذه المرة سيقتل الحمار حقًا، لن أتحمل رؤية ذلك!». ثم ركض مرة أخرى مبتعدًا عن الشجرة وهو يمسك برأسه، لكن في وقت لاحق، عاد مجددًا وهو يصرخ: «يا للمصيبة! سيعذب حماري حتى الموت!».

كان تودو جالسًا في غرفة الامتحان يتصبَّب عرقًا، وقد وصل في مقاله عند مشهد الحمار عند سفح الجبل الجنوبي:

«نما العشب الأخضر لتوه عند سفح الجبل الجنوبي، حيث يجري نهر متقطع ماؤه في أغلب الأوقات، لكن بعد يوم ممطر، تتدفق فيه المياه بغزارة. بالطبع يحب الحمار هذا المكان كثيرًا، حتى إنه هز ذيله، ونهق مرتين، وتدحرج دون أن يشعر بالحرج».

ثم ظهر الوهم أمام تودو مرة أخرى؛ إذ تخيل تشانغ دو فو قد ضيَّق حزامه، وسار باتجاه الحمار عند الشجرة هو يمسك بسكين في يد وفأس في اليد الأخرى. ركض العم سان إلى الجانب للبكاء، وأراد المغادرة، لكن كان هناك شيء ما يشد قلبه. أراد أن يميل إلى الأمام ويُلقي نظرة، لكنه لم يتحمل، لذلك بكى بصوت عالٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مرة وصوت منخفض مرة. لكن لم ينتبه له أحد، فالجميع يحدّقون في الفأس والسكين في يدي تشانغ دو فو.

كان تودو متضايقًا جدًا ولم يقدر على مواصلة الكتابة.

لأن الخيال الذي ظهر أمامه لم يتلاشَ، حيث تخيل أن الحمار قُتل تحت شجرة الصفصاف، وسرعان ما بيع لحمه، ومات جلد الحمار، وفُرش على الأرض ولم يعد بإمكانه التدحرج؛ ومات رأس الحمار وأُلقيَ جانبًا ولن ينهق مجددًا، وماتت حوافر الحمار الأربعة أيضًا، ولن يضرب بها الأرض ثانية.

تناول تودو القلم مرة أخرى بصعوبة، وأراد استخدام القلم للتخلص من هذا الخيال الغريب. لكنه لم يكتب سوى: «...» في ورقة الامتحان. لقد بذل قصارى جهده لملء الورقة، لكنه لم يستطع كتابة كلمة أخرى.

رنَّ الجرس ليُعلن عن انتهاء الامتحان، واندفع تودو مُسرعًا خارج غرفة الامتحان والعرق ينضح من جبينه ووجهه، وركض في فناء المدرسة، وشعر أنه سيُصاب بالجنون.

---

(1)() لعبة صينية تشبه الدومينو.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع

تشانغ تشون ني تسحب الإبرة

بعد أن أنهى تودو امتحانه وعاد إلى المنزل أصابه المرض، حاول أن يقاوم ويقول لنفسه إنه لا يستطيع أن يمرض، فلا يزال عليه أن يطبخ لأخته. أمه ليست في المنزل، ماذا لو شعرت أخته بالجوع، ماذا سيفعل؟ لكن المرض تغلّب عليه، وجعله مستلقيًا على السرير لا يستطيع النهوض، فقد أصيب بنوبة حمى شديدة أفقدته وعيه لاحقًا.

وبينما تودو فاقد وعيه، بدا وكأن صوت بكاء أخته يرن في أذنيه، فاعتقد أنها جائعة، وأراد أن يفتح عينيه ليُهدِّئها ويخبرها أن أخاها سينهض ويطبخ قريبًا. لكنه لم يستطع فتح عينيه، وحاول بكل قوة أن يفتحهما لكن دون جدوى. وكره نفسه كثيرًا، وأراد أن يفتح عينيه بيديه، لكن يده لم تطِعه، ولم يستطع أن يتحرك حركة واحدة. شعر تودو بالخوف، وانهمرت دموعه. لاحقًا، شعر كما لو أن هناك الكثير من الناس في منزله، فاطمأن أن أخته لن تجوع، لذلك نام مرة أخرى.

قبل أن يستيقظ، حلم بحماره، حيث كان وجه الحمار الطويل مُقوَّسًا فوقه وشفتاه الكبيرتان على أنفه. فاستيقظ فجأة، ورأى أخته تتحقق من زفيره بيديها الصغيرتين. فلما وجدته قد أفاق صرخت ودموعها تسيل وتسقط على وجه تودو: «أخي، أنت حي! أخي، هل أنت حقًا لست ميتًا؟».

حاول تودو أن ينهض ويجلس، لكن أخته منعته قائلة: «أخي، لا تتحرك، أنت تحصل على تقطير وريدي!».

فاستلقى تودو ورأى زجاجة الماء المالح معلقة، وأنبوبًا رفيعًا متصلًا بجسده، فشعر بالارتباك.

فهِمَت أخته سبب ارتباكه، وقالت: «أخي، لقد ذهبت لأبحث عن العم سان، وساعدني العم سان في العثور على الطبيب. في الأيام القليلة الماضية جاء الكثير من الأشخاص إلى منزلنا!».

- «أوه!».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أغلق تودو عينيه وأراد أن يتذكّر ما حدث، لكنه لم يستطع تذكّرَ أي شيء.

فقالت أخته: «أخي، هل أنت جائع؟»، ثم أخذت كيسًا كبيرًا ممتلئًا بالطعام اللذيذ من مقدمة السرير، يحتوي على النقانق، والمعكرونة سريعة التحضير، واللبن، والبسكويت.

- «من... من اشتراها لك؟».

فأجابت أخته وهي مُطبِقَةٌ شفتيها قليلًا: «هي لا تسمح لي أن أخبرك!».

اتسعت عيون تودو، وصار صوته أعلى: «من؟ ألم أخبرك ألا تطلبي شيئًا من أحد؟».

فخافت شياو نو، وهمست وهي مطبقة فمها قليلًا: «إنها ليست أي أحد، إنها الأخت تشون ني».

- «تشانغ تشون ني؟».

أومأت الأخت الصغرى برأسها بقوة، ثم أغلقت فمها الصغير.

تنفَّس تودو الصعداء، وقال لأخته: «إذن يمكنك أن تأكلي منها، أخوك ليس جائعًا».

مسحت أخته عينيها بظهر يدها، وقالت: «لا تكذب!»، وأخذت قطعة من البسكويت وحشرتها في فم تودو وهي تقول: «أنا أشعر بالجوع بعد الأكل كل يوم. وأنت لم تأكل منذ يومين وتقول إنك لست جائعًا؟!».

هزَّ تودو رأسه وابتسم، وبينما يُحدِّق في أخته سألها: «تشانغ تشون ني... هل كانت هنا؟».

فابتسمت أخته وقالت: «الأخت تشون ني، لقد أتت إلى هنا عدة مرات في اليومين الماضيين!».

- «أوه!».

أومأ تودو برأسه وأراد أن يقول شيئًا ما، لكن فتح الباب، وكانت تشانغ تشون ني.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نظرت تشانغ تشون ني إلى تودو وقالت بابتسامة: «تودو، هل أفقت؟ لقد أخفتنا جميعًا حتى الموت!».

فابتسم تودو وأراد أن يقول بضع كلمات شكر، ولكن بعد التفكير في الأمر، لم يعرف كيف يعبر، فأدار وجهه إلى الجانب الآخر.

فقال تشانغ تشون ني: «لمَ أنت سعيد هكذا؟ هل لأن الحقنة أصابت أعصابك؟».

أثار هذا السؤال ضحك الأخت الصغرى، فقالت وهي تقهقه: «إذن هل سيصير أخي مختلًا عقليًا؟».

فضحكت تشانغ تشون ني وتودو أيضًا.

سحبت تشانغ تشون ني الإبرة من يد تودو. كانت يدها ناعمة جدًا، لدرجة أن شعر تودو بحكة في يده وذراعه، لكنه أمال وجهه جانبًا ولم يجرؤ على النظر إلى تشون ني. مالت تشون ني إلى الأمام وصارت قريبة جدًا من تودو لدرجة أنه أحسَّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بتنفسها، فتوتر تودو للغاية وحبس أنفاسه.

- «حسنًا!».

وضعت تشون ني القطن فوق مكان الوخز، وضغطت عليه ثم قالت لشياويو التي كانت تنتظر بجانب السرير منذ وقت طويل: «تعالي واضغطي على هذه القطنة لأخيك»، فاقتربت شياويو وضغطت على القطن بتوتر وحماس.

عندما وقفت تشانغ تشون ني وهمّت بالمغادرة. نهض تودو ببطء وجلس على السرير يحدّق في تشون ني، فهو لم يتحدث معها حتى الآن، أراد أن يسألها عن الواجب المدرسي، وأن يستفسر عن حال الحمار. لم ترده أخبار أن تشانغ دو فو قتل الحمار، مما يعني أنه لا يزال حيًا، إذن هل يعيش جيدًا؟ أراد أيضًا أن يخبر تشون ني أن والده تشن شوي كو ليس هو من سرق الحمار حقًا.

التفتت تشون ني وسألته: «هل أنت بخير؟ اعتنِ بنفسك جيدًا، وسأمر غدًا لأطمئن عليك»، ثم غادرت. أومأ تودو برأسه، وهو ينظر إلى تشون ني وهي تغادر، حتى خرجت من المنزل.

بمجرد مغادرة تشانغ تشون ني، عمَّ الصمت الغرفة. كانت شياويو تشعر أيضًا بالوحدة وأرادت الخروج للعب. أدرك تودو أنها شعرت بالملل بدرجة كافية خلال هذين اليومين، لذلك سمح لها بالخروج واللعب مع أصدقائها. فقفزت شياويو من الفرح وركضت إلى الخارج، وصارت الغرفة أكثر هدوءًا. تودو أيضًا لم يتحمّل البقاء في المنزل، لذلك نزل من السرير ببطء، ومشى بحذر إلى الفناء.

إنه منتصف الصيف، والجو حار جدًا بالخارج. والطيور على شجرة الدردار تزقزق بسعادة، ويبدو أن الذرة وزهور عباد الشمس المزروعة في الفناء قد نضجت بالكامل في غضون أيام قليلة. وطيور السنونو الصغيرة تزقزق من عشها الصغير فوق الإفريز مُرحبةً بتودو.

ابتسم تودو عندما تذكّر أنه سمع من قبل أحدهم يقول إن الطفل يصير ناضجًا بمجرد إصابته بالمرض. كان يعلم أنه ليس طفلًا، ولكن الآن، وُلد في قلبه فجأة نوع من الأمل الحي والقوة. وفجأة شعر برغبة في تناول الطعام، وبدأ يفكر ماذا سيطبخ في المساء. في البداية، فكّر في طهو الملفوف المحشي بالخضراوات فهي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوجبة المفضلة لديه ولدى أخته الصغيرة: خليط من البطاطا الحلوة والبطاطس، وقليل من الأرز المسلوق، مع صلصة البيض أو صلصة الفلفل الأحمر، وسيقطف بعضًا من البصل الأخضر والكزبرة من الحديقة ويخلطهما معًا، ثم يلفهما بورقتين كبيرتين من الملفوف، ويأكلها بينما يمشي. بالتأكيد ستأكل أخته حتى يتلطخ خداها بالصلصة. وأيضًا ستصيح أثناء الأكل: «لذيذة، إنها حقًا لذيذة!».

بالتفكير في طريقة أخته في الأكل، نسي تودو أنه مريض وجسده ضعيف. وأراد أن يعد الطعام بسرعة، فربما تركض أخته إلى المنزل بعد قليل وتصيح بأنها جائعة. وبالفعل بمجرد أن أحضر تودو البصل الأخضر والملفوف إلى المنزل من الحديقة، جاءت شياويو تصيح: «أخي، أخي».

عندما رآها تودو، وجدها تحمل وعاءً من التوفو يتصاعد منه البخار. فتغيرت ملامح وجهه معبرة عن غضبه: «من أعطاكِ هذا؟ ألم أقل لك عدة مرات ألا تطلبي شيئًا من أحد؟!».

وضعت شياويو وعاء التوفو على القدر، وهي تقول: «تشانغ... تشانغ دو فو أعطاني إياه!»، ثم أضافت: «لم أكن أريده، لكنه أصر أن آخذه!».

نظر تودو إلى وعاء التوفو على القدر، ثم نظر إلى شياويو، وقال: «كيف أمكنك أن تأخذي منه شيئًا، ألا تخشى أن تُصابي بالتسمم؟».

حدقت شياويو بأخيها بنظرات خائفة وصاحت: «أخي، لقد ذهبت إلى منزل تشانغ دو فو للبحث عن الأخت تشون ني، لقد سمح لي بأكل قطعة من التوفو!».

فقال تودو: «ابصقيها بسرعة!».

فجلست شياويو على الأرض فجأة، وحاولت أن تتقيأ لتبصق قطعة التوفو، ولكن بعد التقيؤ لفترة طويلة، لم تبصق سوى القليل من اللعاب، لكن التوفو لم يُبصق.

غسل تودو ورقة من الملفوف وأعطاها لها قائلًا: «تناولي هذا، فالملفوف يمكنه إزالة السموم!».

أخذت شياويو ورقة الملفوف وراحت تأكلها مثل الأرنب، حتى امتلأ فمها بورقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملفوف. نظر إليها تودو خلسة، لكنه لم يجرؤ على الضحك أمامها. ثم التقط وعاء التوفو من فوق القدر، وألقى نظرة فاحصة فيه، وتشممه بأنفه، وقال لأخته: «يجب ألا نأكل هذا التوفو!». وعندما كان على وشك إخراج الوعاء ورميه بعيدًا، فُتِح الباب فجأة، ودخل تشانغ دو فو يتكئ على عكاز وابتسامة عريضة تعلو وجهه.

خبأت شياويو ورقة الملفوف فجأة خلف ظهرها، ووقفت بجانب الحائط، وأغلقت فمها بإحكام.

أما تودو فكان يحدّق في تشانغ دو فو بغضب، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يراه فيها بعد حادثة سقوطه عن السلم. شعر تودو أن تشانغ دو فو صار مسنًا ونحيلًا، وكانت الابتسامة على وجهه غريبة جدًا. كان يعلم أن تشانغ دو فو زاره في مرضه خلال اليومين الماضيين، ومع ذلك لم يستطع الاقتراب من تشانغ دو فو.

ضحك تشانغ دو فو على مضض وقال: «هذان الطفلان! يبدو وكأنهما لا يتعرفان عليّ»، ثم دخل الغرفة من تلقاء نفسه متكئًا على عكازه.

فقال تودو لأخته التي كانت تستند إلى الحائط: «اخرجي والعبي لبعض الوقت»، ثم أشار ناحية الغرفة وقال لها: «سيذهب أخوك ويتعامل معه».

أومأت شياويو برأسها، وأخرجت نصف ورقة الملفوف من خلف ظهرها، وأشارت إلى فمها لتسأل أخاها هل تكمل وتأكل نصف ورقة الملفوف أم لا. فأخذ تودو نصف ورقة الملفوف، ووضعها في القدر، ثم مسح فمها بكفه، وقال لها: «لا بأس، يمكنك الخروج واللعب».

دخل تودو الغرفة ورأى تشانغ دو فو جالسًا بالفعل على حافة السرير. لم يرغب تودو في الجلوس بجانبه، لذلك جلس على المقعد بجوار الحائط، مقابل تشانغ دو فو لكن من مسافة بعيدة.

سعل تشانغ دو فو سعالًا جافًا ثم ابتسم مرة أخرى وقال لتودو: «لقد أصبت بمرض شديد هذه المرة».

شعر تودو أن تشانغ دو فو لم يهده التوفو ويذهب إلى منزله شخصيًا فقط ليقول هذا. فنظر إلى تشانغ دو فو بدون أي تعبير على وجهه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ابتسم تشانغ دو فو، وقال: «يا تودو، لقد زرتك أيضًا في اليومين الماضيين. هل تعرف ما كنت تهذي به عندما كنت فاقدًا للوعي؟».

تفاجأ تشين تودو، وأول ما خطر بباله أن يكون هذى باسم تشانغ تشون ني بينما كان فاقدًا للوعي، لكن تشانغ دو فو ابتسم وقال له: (لقد كنت تصيح: «حماري، لا تقتل حماري»).

اطمأن قلب تودو قليلًا، لكن تشانغ دو فو ما زال يضحك حتى دمعت عيناه، فاستغرب تودو، هل الأمر مضحك لهذه الدرجة؟

مسح تشانغ دو فو عينيه بيده ومسح دموعه، لكنها ظلّت تسيل ولم يستطع السيطرة عليها. ثم قال لتودو بينما يربت على ساقه العرجاء: «تودو... أنا لا أريد هذا الحمار، فساقي تؤلمني كثيرًا كلما أسمع نهيقه»، وكأن ساقه لم تكن مصابة بسبب سقوطه من على السلم، بل كأن الحمار ركله على ساقه فصار أعرج.

أراد تودو أن يضحك، لكنه لم يستطع أن يبتسم في وجه تشانغ دو فو؛ لذلك خفض رأسه ونظر إلى حذائه ولم يقل شيئًا.

نهض تشانغ دو فو، واقترب من تودو متكئًا على عكازه، وسأله مرة أخرى: «أخبرني ماذا أفعل؟ تودو، قل لي ماذا عليّ أن أفعل؟».

وقف تودو أيضًا، ولم يتمكن من السيطرة على الغضب الذي يملأ قلبه، ثم همس: «هل تسألني؟ من أين لي أن أعرف ماذا تفعل؟! أنت رجل كبير، عندما سرقت الحمار وأرسلته إلى الوادي الشمالي، وأبرحت تشون ني ضربًا، وجئت إلى منزلي وأردت إزالة القرميد من السطح، لماذا لم تسألني حينها ماذا تفعل؟».

نظر تشانغ دو فو إلى تودو، وفجأة طأطأ رأسه وقال: «أعلم يا تودو أنك تكرهني من صميم قلبك. لقد سرقت الحمار، لكن ألم يرجع لاحقًا؟ وصحيح جئت إلى منزلك وحاولت إزالة القرميد، لكنني سقطت قبل إزالة نصف بلاطة حتى! الآن قطعت تشون ني علاقتها بي، وانفصلت والدتها عني، والناس في القرية لا يريدون التحدث معي. الآن أنا لست إنسانًا في الداخل أو الخارج! أعلم أنني أجني نتيجة أفعالي، لكنني نادم أشد الندم».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- «إذن أعد الحمار إلى العم سان!».

كان تودو في حيرة من أمره، كيف يمكن لشخص بالغ ألا يكون قادرًا على التعامل مع مثل هذه المسألة البسيطة؟

رفع تشانغ دو فو رأسه وقال: «لقد فعلت ذلك، بالفعل أعطيته الحمار»، ثم طأطأ رأسه مرة أخرى: «لكنه قال إنه لا يريد شيئًا!».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس

المعلم والطالب

بدأت أيام العطلة الصيفية، وأطفال القرية في إجازة؛ لذلك كانت شياويو تخرج كل يوم لتلعب مع هؤلاء الأطفال.

خلال العطلات الصيفية في السنوات السابقة، كان تودو يقضي إجازته في القراءة والتجول داخل المنزل وخارجه، ويشعر أن الإجازة تنقضي دون الحاجة لفعل شيء، لكن خلال العطلة الصيفية هذا العام، يشعر تودو أنه يجب عليه أن يُخطط جيدًا لقضاء العطلة، وأهم شيء ينبغي أن يفعله هو تعليم أخته؛ إذ يجب أن تذهب شياويو إلى المدرسة الابتدائية بعد هذه العطلة الصيفية، لكنها ما زالت لا تفهم أي شيء. لقد تعلَّم الأطفال من نفس عمرها في القرية قراءة الحروف والجمع والطرح والضرب والقسمة، كما حفظوا بعض الأشعار الكلاسيكية وبعض كلمات اللغة الإنجليزية، أما شياويو فكانت تتجول مع والديها في العامين الماضيين، ولم تلتحق حتى بروضة الأطفال بشكل جِدي، فكيف ستتكيف مع المدرسة الابتدائية؟

لذلك، بحث تودو عن لوح خشبي صغير، ثم طلاه بالحبر الأسود، وعلَّقه على جدار المنزل. كما وجد بعض رؤوس الطباشير في المنزل، فقد اعتاد تودو أن يأخذها من المدرسة ليرسم مربعات لأخته، بعضها أيضًا ملوَّن. جمع تودو الطباشير ووضعه في علبة صغيرة، من الآن فصاعدًا، لن يهدر الطباشير، وسيستخدم كل الطباشير في الكتابة على السبورة الصغيرة. بعد ذلك، أصلح تودو الطاولة والمقعد الصغير، ووضعهما في وسط الغرفة. وذهب أيضًا إلى المتجر الصغير لشراء قلم ودفتر لأخته، ثم وضعهما على الطاولة، وصارت الغرفة تشبه تمامًا الغرفة المدرسية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نظرت شياويو إلى التغييرات التي حدثت في المنزل بإثارة، وشعرت أن حياة جديدة تنتظرها، وقالت لتودو: «أخي، هل ستكون أستاذي؟»؛ فأومأ تودو برأسه والابتسامة تعلو وجهه.

فسألته شياويو وهي تحدق به: «بمَ أدعوك؟ هل أقول لك (أخي) أم (أستاذ)؟».

فكر تودو للحظة ثم أجابها: «قولي لي يا (أستاذ) في وقت الدرس، وأخي خارج أوقات الدرس!».

ثم أمالت شياويو رأسها وسألته: «إذن بماذا ستناديني؟».

- «سأناديك بـ (تشن شياويو... الزميلة تشن شياويو)».

نادرًا ما ينادي تودو أخته باسمها، ومع ذلك كان وقع الاسم جميلًا جدًا.

ففرحت شياويو للغاية، وتحوَّل لون خديها إلى الأحمر: «أخي، إذا ناديتك خطأ في يوم ما، فهل ستنتقدني؟».

ابتسم تودو وقال: «لن أنتقدك، ولكن إذا لم تستمعي إلى أستاذك ولم تدرسي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بجد، فسوف تتعرضين للنقد!».

لم تقتنع شياويو بكلام أخيها: «ومن قال إنني لن أستمع إلى المعلم؟ أنا أستمع إلى أخي دائمًا!».

فضحك تودو على شياويو التي خلطت بين «المعلم» و«الأخ» الآن، وكانت تبدو لطيفة للغاية!

بدأت الدروس بسلاسة، وكانت شياويو في غاية الذكاء وتدرس بجِد، كما أنها في الأوقات العادية تعلَّمت الكثير من الأطفال الآخرين، وسرعان ما حفظت جدول الضرب عن ظهر قلب. وكانت شياويو دائمًا تخرج وتتباهى مع أصدقائها. وبعد أن علَّمها تودو كيف تكتب اسمها، كتبت شياويو اسمها سرًا على بوابة الفناء، ورسمت بجانبه رجلًا صغيرًا يضحك وفمه مفتوح.

وفقًا للخطة التي وضعها تودو، يجب عليه أن يعلِّم شياويو كل يوم بعض الأشعار الكلاسيكية كذلك. تتمتع شياويو بذاكرة قوية، فقد علَّمها تودو في السابق بعض الأشعار الكلاسيكية بالفعل، وما زالت تتذكرها حتى الآن، لكن هناك بعض الأبيات التي تقولها بشكل غير صحيح. على سبيل المثال دائمًا تخطئ في البيت الشعري: «تتغلغل أشعة شمس الغروب في الغابة القاتمة»، وتقرأه: «تتغلغل أشعة شمس الغروب في الغابة»، وأيضًا تقرأ: «تبلل قطرات المطر برقة وبلا صوت الأشياء»، بدلًا من: «تبلل قطرات المطر الأشياء برقة وبلا صوت».

بذل تودو قصارى جهده لتصحيحها لها، وأحيانًا كانت تضحك عليه عندما تراه يرتكب خطأً في الحفظ بسببها؛ فيستاء تودو ويقول: «أيتها الطالبة شياويو، لقد أربكتِني، لتُغير القصيدة ونحفظ (جنوب نهر اليانغتسي) مرة أخرى!».

قصيدة «جنوب نهر اليانغتسي» هي القصيدة المفضلة لدى شياويو، لأن بها كلمة «يو»((2)) أيضًا. وبينما تحفظ شياويو القصيدة: «في جنوب نهر اليانغتسي نقطف زهور اللوتس، يلعب السمك بين أوراق اللوتس». ثم خطرت ببالها حيلة شريرة؛ فأكملت القصيدة: «يلعب السمك شرق أوراق اللوتس وغربها وشمالها وجنوبها»((3)).

فجلس تودو على الكرسي فجأة وقال لها: «شياويو، لا ينبغي أن تلجئي للحيلة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في حفظ القصائد».

وفي الصباح وهم يتناولون الإفطار كانت شياويو تعد الحساء، وفجأة تذكرت بيتًا من الشعر، فصاحت: «أخي! لقد تذكرت بيتا من الشعر عن الحساء المالح»، تملكت الحيرة من تودو، فهو لا يعرف أي بيت من الشعر عن الحساء المالح، فضحكت شياويو وفتحت فمها بفرح قائلة: لي باي يريد أن يعد الحساء... ومن الجهة المقابلة يسمع صوت الغناء»((4))، وفور أن سمعها تودو، انفجر من الضحك فسقط من فمه الحساء الذي شربه للتو.

يبدو أن حفظ القصائد فقط لا يكفي، ويجب على تودو أن يساعد شياويو في فهم القصائد. لكن المشكلة أن حفظ القصائد سهل جدًا، لكن شرح معانيها صعب جدًا. فعلى سبيل المثال: في قصيدة «أفكار ليلة هادئة» في البيت: «أخفض رأسي، وأفكر في مسقط رأسي»، لا تفهم شياويو ما هو «مسقط الرأس»، فسألت تودو: «هل هو صندوق كبير؟»؛ فأجابها تودو: «لا، إنه شيء أكبر من الصندوق، ويبدو مثل البيت». قالت: «أليس هذا منزلًا؟». كان تودو موزعًا بين الضحك والبكاء، فقال: «أيتها الطالبة شياويو، إجابتك جيدة، ولكن...». رفعت شياويو رأسها ونظرت إلى أخيها، ثم سألته سؤالًا آخر: «أخي، هل تعتقد أن والدينا (سيفكران في مسقط رأسيهما؟)».

ذهل تودو، ولم يعرف كيف يجيب على سؤال أخته.

في لمح البصر، مرَّت فترة طويلة على غياب والدهما، حتى إنه لم يتصل بهما؛ لا بد أنه يخشى أن يطلب منه سكان القرية المال. حتى والدتهما غادرت منذ أكثر من شهر، ولم تَرِد أيُّ أخبار عنها إذا كانت قد عثرت على والدهما أم لا؟ خفض تودو رأسه يفكر فيهما، متسائلًا عما إذا كانا «يفكران في مسقط رأسيهما» كما قالت شياويو، وفجأة غمره شعور يصعب تفسيره.

عندما دخلت تشانغ تشون ني الغرفة، كان تودو يتصبب عرقًا بسبب أخته التي تخلط بين الأبجدية الإنجليزية ومقاطع اللغة الصينية، فكانت تفهم أحيانًا الفرق بينهما، وأحيانًا ترتبك وتخلط بينهما، لكن المرات التي تخلط فيها بينهما أكثر من المرات التي تفهم فيها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضحكت تشانغ تشون ني وقالت لتودو: «أستاذ تودو، لا يمكنك أن تعلّم اللغة الإنجليزية ومقاطع اللغة الصينية في الوقت نفسه، حتى إذا أردت فيجب ألا يقوم بذلك معلّم واحد، لذا خذ قسطًا من الراحة، وأنا سأعلّم أختي اللغة الإنجليزية».

فرحت شياويو وقالت لتشون ني: «أختي تشون ني، أنا لدي اسم، وأدعى تشن شياويو».

فقالت لها تشون ني: «حسنًا، أيتها الطالبة شياويو، سنبدأ درس اللغة الإنجليزية الآن».

وبالفعل، علمتها تشانغ تشون ني الأبجدية الإنجليزية. وكما هو متوقع، تعلمت شياويو بسرعة كبيرة، ولم تخطئ ولو مرة واحدة.

ثم قال تودو مسرورًا: «تعالي، ودعي الأستاذة تشون ني تستريح لبعض الوقت، بينما أختبرك!».

لكن بمجرد أن اختبرها تودو، بدأت شياويو ترتبك مرة أخرى، وتخلط باستمرار بين الحروف الإنجليزية ومقاطع اللغة الصينية. ونضح العرق من جبين تودو مرة أخرى، فضحك تشانغ تشون ني مرة أخرى، وقالت: «ألا تفهم؟ أنت الآن تمثل مقاطع اللغة الصينية أمام شياويو، وأنا أمثل الأبجدية الإنجليزية أمام شياويو!».

مسح تودو العرق من جبينه وقال: «أنا من ارتبكت هذه المرة».

ركضت شياويو عائدة من الخارج قائلة: «أخي، أخي! يريد تشانغ دو فو أن يعطيَني شيئًا مرة أخرى، وأنا صممت على عدم أخذه!».

- «هل أعطاكِ تشانغ دو فو التوفو مرة أخرى؟».

فأجابته شياويو ضاحكة: «لا يا أخي، لقد خمنت بشكل خاطئ، إنه يريد أن يُعطيَني الحمار لألعب معه!».

فحدّق تودو في شياويو مذهولًا وسألها: «أراد تشانغ دو فو أن يعطيَك الحمار؟».

فأومأت برأسها بقوة، وكانت تبدو فخورة بنفسها، وقالت: «أنا لا أريده، حقًا لا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أريده».

قال تودو: «أنتِ محققة! هذا الحمار ليس ممتعًا!».

أمالت شياويو رأسها وقالت: «لا، هذا الحمار ممتع! لقد ناديت على الحمار عندما كنت مريضًا، أنا سمعتك، لقد قضيت وقتًا ممتعًا مع هذا الحمار من قبل».

نظر تودو إلى أخته، وابتسم قائلًا: «في ذلك الوقت، كان هذا الحمار ممتعًا حقًّا، لكن الآن لم يعد ممتعًا!».

أمسكت شياويو بيد تودو وهزتها بقوة قائلة: «لا! هذا الحمار ممتع للغاية الآن، حتى إنه ابتسم لي!».

قال تودو: «الحمار ابتسم لك؟ هل كان ينهق؟»؛ فضحكت شياويو قائلة: «يا أخي لقد تعلمت خطأ، هكذا يبكي الحمار! وهكذا ابتسم الحمار لي»، ثم وقفت باستقامة، وشدَّت وجهها بيديها وتابعت: «أخي، هل ترى؟ ابتسم الحمار لي هكذا!».

نظر تودو إلى وجه شياويو، ولم ير ابتسامة الحمار، فهزَّ رأسه نافيًا.

فقالت شياويو بغضب: «أنت غبي جدًا يا أخي، لا تنظر إلى وجهي، وانظر في عيني!».

دارت عيون شياويو عدة مرات، ثم نظرت إلى تودو وابتسمت مرارًا وتكرارًا.

قال تودو: «الحمار لا يبتسم هكذا، بل هو سعيد، إنه يختلس السعادة!».

بعد تناولهما العشاء، كان الظلام قد حلَّ بالفعل. وأرادت شياويو أن تخرج لتلعب، لكن تودو رفض، قائلًا إن هناك «رجلا أسود أعمى» في الخارج يخطف الأطفال، فقالت شياويو: «أخي، لا تكذب عليَّ، لقد أخفتني مائة مرة بـ (الرجل الأسود الأعمى)، أنت تخشى أن تجلس في المنزل بمفردك بمجرد خروجي، أليس كذلك؟».

أومأ تودو برأسه على عجل: «نعم، نعم، عندما كنت طفلًا كنت أخاف كثيرًا من الكبار، وأخشى أن يأتيَ (الرجل الأسود الأعمى)!».

فقالت شياويو: «حسنًا، سأبقى معك، هل ما زلت خائفًا؟».

قال تودو: «لا، لست خائفًا على الإطلاق».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قالت شياويو: «إذن عليك أن تحكي لي قصة! أو سأخرج وألعب وأتركك وحدك في المنزل!».

قال تودو: «حسنًا، حسنًا! سأحكي لك قصة».

قالت شياويو: «أخبرني قصة جديدة! لا تقل أي شيء قلته من قبل!».

- «حسنًا، حسنًا، سأروي لكِ قصة جديدة».

وبينما تودو يفكر في قصة جديدة يرويها لأخته، جاء العم سان ودخل عليهما هو يشبك يديه خلف ظهره. اعتقد تودو أن الأمر غريب بعض الشيء، فالعم سان كان قريبًا جدًا من تودو بسبب الحمار، لكن الآن لا يوجد حمار، فلماذا أتى العم سان؟ كان تودو خائفًا حقًا من أن يبكي العم سان أمامه وأخته.

لحسن الحظ لم يبكِ العم سان، وكانت الابتسامة تعلو وجهه، وسأل تودو عن صحته، وسألهما أيضًا ماذا تناولا على العشاء، ثم جلس على السرير وأخرج سيجارة ليدخن.

ولأن شياويو لن تسمع قصة جديدة الآن، مدت شفتيها وراحت تحرّك يديها أمامها لتبعد الدخان، فنظر إليها تودو لتتصرف بأدب، فاستدارت وبدأت تسعل بشكل مبالغ فيه كما لو أنها تختنق بالدخان.

فشعر العم سان بالإحراج، وقال: «هذه الطفلة لا يسعها إلا الاختناق، حسنًا لن أدخن»، وأطفأ السيجارة. ساد الصمت في الغرفة، ولم يُثِز أحد أيّ موضوع ليتحدثوا فيه لفترة من الوقت. استرقت شياويو النظر إلى أخيها، وأشارت له بشفتيها تسأله متى سيرحل العم سان.

قال تودو لأخته: «اخرجي والعبي لبعض الوقت، وعودي مبكرًا!».

فحملقت شياويو فيه قائلة: «ألم تقل للتو إن هناك (رجلًا أسود أعمى) يخطف الأطفال في الخارج؟».

وقبل أن يجيب تودو، ضحك العم سان قائلًا: «انظر إلى ما قاله هذا الطفل، لا يوجد ما يُسمى بـ (رجل أعمى أسود)!».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت شياويو قد ارتدت حذاءها بالفعل وسارت إلى الباب، وقبل أن تخرج أدارت رأسها وقالت: «أنا لا أخاف من (الرجل الأعمى الأسود)، أخي هو الذي يخاف. لا تخف يا أخي، سأعود قريبا!».

ضحك العم سان، ثم قال لتودو بينما يشعل السيجارة مجددًا: «هذه الطفلة... تودو، سمعت أن تشانغ دو فو سوف يعطيك الحمار».

فأومأ تودو برأسه وهو يفكر: «إذن لقد جاء من أجل الحمار».

- «وسمعت أن حفيدتي تشون ني تركت المنزل وقطعت علاقتها بعائلتها أيضًا».

قفز تودو فجأة من على كرسيه.

ظهرت ابتسامة على زاوية فم العم سان وتابع: «سمعت أنها انفصلت عن عائلتها. تشانغ دو فو يبحث عنها في كل مكان!».

جلس تودو، ولم يجرؤ على النظر إلى تعابير العم سان. إنه يعتقد أن العم سان يكون أكثر لطفًا عندما يبكي.

فبمجرد أن يفتح العم سان فمه، لا يتوقف عن الكلام.

- «تودو، جميع سكان القرية الآن يقولون إن تشانغ دو فو يجني نتيجة أفعاله. أنا من البداية لم أره شخصًا جيدًا، وعندما كان يواعد ابنتي، لم أوافق عليه؛ لذلك لا يزال يكرهني حتى الآن. أخبرني أنت يا تودو أين يوجد صهر مثله، أخبرني».

جلس تودو كالأبله، ولم يرغب في قول أي شيء. فقد كانت تشانغ تشون ني تشغل كل تفكيره الآن، وشعر بالحزن الشديد وهو يتذكر حين أعطته الحقنة أثناء مرضه، وحين علّمت شياويو اللغة الإنجليزية.

أشعل العم سان سيجارة أخرى، تصاعد منها الدخان وحجبه، ثم قال لتودو: «أنا أعلم أنك قلق على تشون ني، إنها بخير لا تقلق عليها».

اطمأن قلب تودو كثيرًا بعد سماعه لكلام العم سان، وفجأة شعر بالحرج أيضًا، كما لو أن قلبه قد انكشف، فشبك أصابع يديه وضغط عليها بقوة.

تابع العم سان مبتسمًا: «العم سان يعرف أنك فتى جيد، لكن أخشى أن يخدعك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تشانغ دو فو! لذا يجب ألا تأخذ حماره!».

فأومأ تودو برأسه وقال: «أنا لا أريد الحمار، هل تريد استعادته؟».

ارتفعت الابتسامة من شفتي العم سان إلى عينيه وقال: «هل أريد استعادته؟ تودو، أنسيت كيف أعطيت الحمار لتشانغ دو فو؟».

فتذكر تودو مشهد العم سان وهو يسوق الحمار في القرية كلها، وقال: «إذن اجعل تشانغ دو فو أيضًا يسوق الحمار حول القرية كلها».

فضحك العم سان ضحكة عالية متقطعة، كأنَّ الدخان يخنقها: «لا أريد هذا الحمار الآن، حتى لو أراد تشانغ دو فو إعادته، فأنا لا أريده. فكل ما أريده الآن هو رؤية تشانغ دو فو يتألم».

حدَّق تودو في العم سان، ولم يفهم ما يقوله.

أخذ العم سان نفسًا طويلًا من السيجارة، ثم أخرجه ثانية، وقال منتصرًا: «يا تودو، ما زلت صغيرًا ولا تفقه شيئًا، سأخبرك، لقد ربيت هذا الحمار لسنوات عديدة، لذلك مجرد أن يراني الحمار خلال النهار يبدأ في النهيق، وفي الليل، عندما أقف عند زاوية الجدار وأصفِّق بيدي ينهق الحمار، أنا أريد أن أجعله ينهق؛ حتى يتألم تشانغ دو فو».

نظر تودو إلى الابتسامة على زاوية فم العم سان وفجأة انتابه شعور بالخوف؛ فنهض وقال: «لقد تأخَّر الوقت، سأخرج لأعيد أختي»، فابتسم العم سان قائلًا: «أيها الفتى، لا يوجد ما يُسمى (رجل أسود أعمى) في الخارج، ها ها ها.. حسنًا، حسنًا». ثم نهض وهمَّ بالمغادرة، وبعد بضع خطوات، أدار رأسه وقال: «يجب ألا تأخذ حمار تشانغ دو فو!».

تحت شجرة الصفصاف الكبيرة في وسط القرية، تعالت أصوات الأطفال وهم يلعبون.

بمجرد أن غادر العم سان، ركضت شياويو عائدة إلى المنزل والعرق يتصبب من وجهها، وقالت لتودو الذي كان يقف عند الباب: «أخي، بمجرد أن رأيت العم سان قد غادر، عُدت سريعًا؛ لأنك تخشى البقاء في المنزل بمفردك».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مسح تودو العرق من رأس أخته، وقال: «لا تدعيه بالعم سان، إنه تشن سان لنغ».

فقالت أخته: «لا، إنه العم سان! أنت لا تعرف كيف تكون مهذبًا!».

---

(2) كلمة «يو» في اللغة الصينية تعني «سمكة»، وأخت تودو تدعى «شياويو» وتعني «السمكة الصغيرة».

(3) تقول القصيدة: «يلعب السمك شرق أوراق اللوتس، يلعب السمك غرب أوراق اللوتس، يلعب السمك شمال أوراق اللوتس»؛ فاختصرتها شياويو.

(4) قصيدة قديمة شهيرة للشاعر الصيني لي باي تقول «كم أشتاق لركوب القارب لأذهب للجهة المقابلة من الشاطئ وتمتلئ أذني بصدح الغناء»، ولكن شياويو حرفتها نظرا للتطابق الصوتي بين جُملتيّ «يعد الحساء» و«يركب القارب» في اللغة الصينية..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السادس

الفصل المستدير

في الربيع تطايرت البذور من شجرة الدردار العجوز، ونتيجة لذلك نمت شجيرات دردار عند زاوية الجدار، ووصل طولها الآن إلى 40 سنتيمترًا تقريبًا.

كانت شياويو في أغلب الأوقات تقرفص عند الشجيرات الصغيرة وتراقبها، وأحيانًا تسقيها.

- «أخي، متى ستطرح ثمارًا؟».

فرفع تودو رأسه ونظر إلى شجرة الدردار العجوز، وقال: «عندما تكبر وتصير بمثل طول شجرة الدردار العجوز».

فشعرت شياويو بالقلق وقالت: «مستحيل، عندما تنمو الشجيرات وتصير في طول شجرة الدردار العجوز، سأكون عجوزًا جدًا حينها، ولن أستطيع تناول ثمارها».

فضحك تودو وقال: «إذن سأتناقش معها، وأجعلها تطرح الثمار في العام المقبل أو العام الذي يليه، حسنًا؟».

فصفقت أخته بسعادة وهي تقول: «حسنًا، لكنني أريدها أن تطرح الثمار هذا العام، انظر كم أوراقها كبيرة!».

ضحك تودو قائلًا: «أيتها الطالبة شياويو، شجيرات الدردار الصغيرة لم تصل بعد إلى سن طرح الثمار، الآن يمكن فقط أن تنمو لها الأوراق».

نظرت شياويو إلى أخيها بوجه خجل وأومأت برأسها.

ثم قال لها تودو: «لا داعي لسقي هذه الشجيرات، ستنمو بمفردها، وسنأكل ثمارها في غضون عام أو اثنين، إلا إذا تخلصنا منها».

فأومأت شياويو برأسها بقوة قائلة: «إذن لا تتخلص منها يا أخي».

بعد وقت قليل، استغلّت شياويو عدم انتباه تودو لها، وذهبت خلسة لتسقي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشجيرات، وبينما تسقيها همست لها: «اكبري بسرعة، واطرحي الكثير من الثمار».

كان تودو يعلم أخته مقاطع اللغة الصينية في هذه الأيام، على أن يعلمها اللغة الإنجليزية بعدما تتقن مقاطع اللغة الصينية، لئلا يربكها، فرؤيتها مرتبكة تجعله يتعزق بغزارة.

لكن شياويو على عجلة من أمرها لتعلم اللغة الإنجليزية، فكانت تقول إن أصدقاءها يسخرون منها لأنها لا تعرف اللغة الإنجليزية، كما أن هاو هاو يوبخها باللغة الإنجليزية. كانت شياويو تتحدث حينًا، وتمد شفتيها حينًا، واحمرّت عيناها من شدة الغضب.

لم يستطع تودو رؤية أخته تتعرض للظلم، فضلا عن تعرضها للتنمر من الآخرين؛ لذا أقنعها قائلًا: «سيُعلمك أخوك اللغة الإنجليزية في غضون أيام قليلة. لا بأس، إنهم يلعبون معك!».

فارتفع صوت شياويو الذي تخلله النشيج: «هذا ليس لعبًا، أحيانًا لا يحبون اللعب معي، ويسبونني قائلين إنني (دوج، بيج، فيش...)».

كان تودو مرتبكًا ولم يفهم ما الذي تتحدث عنه شياويو.

فقالت له بنفاد صبر: «لقد سألت أحدهم خلسة عن معنى هذه الكلمات وقال إنها تعني: جرو، خنزير صغير، سمكة صغيرة باللغة الإنجليزية».

فضحك تودو قائلًا: «هذا كل شيء!».

شعرت شياويو بظلم أكثر، فمسحت عينيها بظهر يدها، وانفجرت بالبكاء وهي تهز كتفيها.

توقف تودو عن الضحك، ونظر إلى وجهها المرقط بالبقع السوداء، بسبب دموعها المتدفقة، وقال لها وعلى وجهه تعبير جاد: «شياويو، هل تعرفين لمَ يدعونك بالجرو والخنزير والسمكة باللغة الإنجليزية؟».

لم تجب شياويو، وحركت يدها بعيدًا عن عينيها لإلقاء نظرة خاطفة على تودو.

أمسك تودو يد أخته حتى لا تفرك عينيها، ثم تابع: «لأن الجرو والخنزير الصغير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والسمكة الصغيرة لا يدرسون وغير متعلمين! كما أنهم لا يهتمون بالنظافة، فهم لا يحبون غسل وجوههم ولا شعرهم ولا أيديهم!».

رفعت شياويو عينيها الدامعتين وقالت: «لا! السمكة الصغيرة تحب النظافة، فهي دائمًا تستحم في الماء!».

فضحك تودو قائلًا: «نعم، السمكة الصغيرة تحب النظافة، لكن انظري إليكِ، انظري إلى شعرك ووجهك ويديك أيضًا».

فسحبت شياويو يديها من بين يدي أخيها، وخبأتها خلف ظهرها، وطأطأت رأسها في خجل، ثم قالت بصوت خافت: «إذن لن أدعى شياويو((5))».

فقال تودو: «اسمك ليس شياويو؟ هل اسمك دا يو((6))؟».

فضحكت أخته وقالت: «أنا لم أكبر بعد».

- «إذن هل ترغبين أن يكون اسمك تودو((7))، وأن يكون اسمي شياويو؟».

فضحكت أخته وضربته وقالت: «البطاطس متسخة أكثر من السمكة الصغيرة».

ضحك تودو قائلًا: «حسنًا، السمكة الصغيرة تحب النظافة، بل وأكثر نظافة من البطاطس. سيذهب أخوك لتسخين الماء، وبعد أن تستحمي جيدًا سأعلمك اللغة الإنجليزية».

فأومأت شياويو برأسها وقالت: «أخي، افتح أنت المياه وأنا سأشعل النار».

في السابق كانت شياويو تعتقد أن غسل الوجه والشعر واليدين أكثر الأشياء صعوبة، فكانت كلما تستحم، تصرخ باكية بأعلى صوتها وإما تهرب وهي تضحك بأعلى صوتها. لكنها الآن فتاة مطيعة، فعندما خلط تودو الماء جيدًا،، بدأت تفرك يدها بقوة بالصابون حتى احمرت، وكذلك وجهها ورقبتها، وأيضًا تحوَّل لون الماء في الحوض إلى اللون الأسود. ساعدها تودو أيضًا في غسل شعرها، وحين غمرت رغوة الشامبو شعرها، أغلقت عينيها بإحكام وكمشت أنفها وأطبقت شفتيها بقوة، ولم تصدر صوتًا.

حتى صارت شياويو في الحال سمكة صغيرة نظيفة ومنتعشة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نظرت شياويو إلى نفسها في المرآة، وكانت تبدو جميلة جدًا، في هذه اللحظة، فكّر تودو في تشانغ تشون ني، وتمنّى لو كانت موجودة هنا معهما، حينها ستستطيع تمشيط شعر أخته وتزيينه، وقد تقصه قليلًا وتجعله متساويًا؛ لأن شعر شياويو طويل بعض الشيء. لكن أين ذهبت تشانغ تشون ني؟ إذا كان تودو يمتلك هاتفًا الآن، لاتصل بها. قال تشن شوي كو من قبل لتودو إنه سيشتري له هاتفًا، لكن تودو لم يقبل وقال إنه لا يريد شيئًا؛ لأنه ظنّ أن التعامل مع الهاتف المحمول أمر متعب، كما أنه لم يرغب أن يتحكم فيه تشن شوي كو عن بعد. لكن لا بأس الآن، فوالداه بعيدان ولا توجد أي أخبار عنهما، وكذلك لا توجد أي أخبار عن تشانغ تشون ني.

ظلّ تودو ينتظر تشون ني في صمت لعدة أيام متواصلة، لكن تشانغ دو فو هو الذي جاء.

جرّ تشانغ دو فو الحمار إلى منزل تودو، وربطه في فناء المنزل دون أن يصدر صوتًا، وكما استعار الحمار من تودو، فالآن يعيده إليه مرة أخرى.

ظنّ تودو أن الأمر مضحك، لكنه لم يضحك، وعندما ربط تشانغ دو فو الحمار في الفناء دخل منزل تودو وهو يعرج، وتبعه تودو.

صارت ساق تشانغ دو فو أفضل كثيرًا، ولم يعد بحاجة لاستخدام العكاز. جلس على حافة السرير منكس الرأس كما لو كان الصقيع يضربه، ثم قال لتودو بصوت خافت وكأنه يتحدث إلى نفسه: «أتوسل إليك يا تودو، أرجوك خذ الحمار».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال تودو: «سمعت أن تشانغ تشون ني قطعت عَلاقتها بك، لكن أنا أيضًا لا أعرف مكانها».

رفع تشانغ دو فو رأسه، ثم نكسه بسرعة ثانية وقال: «أرجوك خذ الحمار أولًا».

فقال تودو: «أنا أعرف أن العم سان لا يريد حمارك، لماذا لا تبيعه؟».

فرفع دو فو رأسه فجأة وقال: «تودو، هل تقتلني بكلامك هذا؟ إذا بعت الحمار الآن، فهل سيسامحني العم سان؟ هل ستعود تشون ني؟ هل ستتراجع والدة تشون ني عن قرار انفصالها عني؟».

حدَّق تودو في وجه دو فو ولم يقل شيئًا.

ثم تابع دو فو بصوت مرتجف، وساقه العرجاء كانت ترتجف أيضًا: «هذا الحمار سيفقدني صوابي، إنه ينهق طَوال النهار والليل، وكلما ينهق، يؤلمني قلبي وساقي وسائر جسدي كذلك».

بينما يستمع تودو إلى كلام دو فو، تذكر ابتسامة العم سان، وبدأ قلبه يؤلمه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أيضًا، ليس بسبب تشانغ دو فو، وإنما بسبب هذا الحمار، وبسبب تشون ني التي لا يعرف مكانها.

هزَّ دو فو رأسه، وعيناه تحدِّقان في وجه تودو.

قال تودو: «حسنًا، سآخذ الحمار أولًا، إلى أن تعود تشون ني، وبعدها سأعيده إليك».

لمعت عينا دو فو، واقترب من تودو وقال له: «هذا الحمار لك الآن، ولن أفعل مثل الآخرين وأطلب استعادته مجددًا، حتى عندما تعود تشون ني لن أطلبه منك».

فهم تودو ما يقصده دو فو، فقال له بصوت هادئ: «لا يمكنني أخذ حمارك بدون مقابل، لذلك سنحسب أنني أرعاه في منزلي، وإذا قلت شيئًا آخر فلن أقبله».

فردَّ دو فو: «حسنًا! إذن، أنت فتى جيد، بعد قليل سأحضر لك وعاء الطعام الذي يأكل فيه الحمار والعلف أيضًا».

وبالطبع كانت شياويو أسعد شخص بوجود الحمار في المنزل، فكانت تدور حول الحمار، وتلعب معه الغميضة، كما تُغني وترقص له. فصاح تودو قائلًا لها: «شياويو، احذري ألا يرفسك الحمار»، فأجابته قائلة: «لن يرفسني الحمار! تعالَ وانظر يا أخي، عندما أختبئ من الحمار ينظر حوله بحثًا عني، وعندما أغني وأرقص له يبتسم لي».

فجاء تودو وقال لها: «إذن تحدثي معه باللغة الإنجليزية، لنرى سيفهم أم لا».

فقالت شياويو للحمار: «Hello!»؛ فخفض الحمار رأسه قليلًا، وكأنه يومئ برأسه، فتابعت شياويو: «good morning»، فرفع الحمار رأسه وأومأ مرة أخرى؛ فضحكت شياويو لدرجة أن انبطحت على الأرض من شدة الضحك وسالت الدموع من عينيها!

ساعد تودو أخته على النهوض، لكنها لم تتوقف عن الضحك، وقالت وهي تضحك: «أخي هذا الحمار مضحك للغاية، لماذا قلت إنه ليس ممتعًا؟ أريد أن أتحدث الإنجليزية معه مرة أخرى»، لذا اقتربت من الحمار وسألته: «ما اسمك؟».

رمش الحمار بعينيه، ثم أمال رأسه إلى الجانب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكرت شياويو لبعض الوقت، وقالت: «هذا الحمار ليس له اسم بعد، لذلك لا يستطيع الإجابة عليّ!»، ثم نظرت إلى الأعلى وسألت تودو: «ما اسم هذا الحمار؟».

فأجاب تودو: «حمار».

فقالت شياويو بنفاد صبر: «أعلم أنه حمار. أنا أسأل: ما اسمه؟».

فأجاب تودو: «اسمه أيضًا حمار».

ضربت شياويو الأرض بقدمها بنفاد صبر وهي تقول لتودو: «يا أخي، اختر اسمًا للحمار».

فرفع تودو رأسه وفكر قليلًا، ثم قال: «إذن فلنسمه الحمار تشن((8))».

نظرت شياويو إلى الحمار تشن، ثم إلى تودو وضحكت قائلة: «هذا جيد، الحمار تشن، وتشن تودو، وأيضًا تشن شياويو، نحن الآن عائلة واحدة».

فانحنى تودو ضاحكًا.

فحدقت شياويو فيه وهي تقول: «علام تضحك يا أخي؟ هل أنا مخطئة؟».

فكتم تودو ضحكته وقال لها: «لا، أنتِ على حق، كلامك منطقي، نحن عائلة واحدة».

ولأن الحمار في منزل شياويو، جاء أطفال القرية ركضًا حتى يشاهدوه.

عندما كان الحمار في منزل العم سان ومنزل تشانغ دو فو، لم يذهب أحد لرؤيته؛ لأن الحمار كان يستخدم للعمل حينذاك. لكن الآن الأمر مختلف، فقد أخبرت شياويو الجميع أن الحمار ممتع للغاية، وتفاخرت أمامهم قائلة: «يلعب الحمار معي لعبة الغميضة، ويستمع إليّ وأنا أغني، ويشاهدني وأنا أرقص، ويفهم اللغة الإنجليزية!».

لذلك جاء جميع الأطفال لمشاهدة الحمار.

تبعت شياويو أخاها تودو، ووضعت الماء والعلف للحمار، ثم أمرت الأطفال الذين يشاهدون الحمار بالغناء والرقص وتحدث اللغة الإنجليزية. لقد كانت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شياويو تعمل بجد حتى احمرّ وجهها من التعب.

هاو هاو يتحدث جيدًا باللغة الإنجليزية، فعندما سأل الأطفال الحمار: «what? is your name»، أجابهم هاو هاو: «his name is horse». قال بعض الأطفال إنها إجابة خاطئة، لكنهم لم يعرفوا ما هو الخطأ. لذا طلبت شياويو من تودو أن يحكم بينهم.

قال تودو: «horse تعني حصان، هل ترون هذا حصانًا؟».

فضحك الأطفال وكان صوت ضحكة شياويو أعلاهم. في الحقيقة، يعرف هاو هاو أن هذا حمار، لكنه يعرف فقط كلمة «حصان» باللغة الإنجليزية ولا يعرف كيف يقول كلمة «حمار» لذا نظر إلى تودو وسأله: «إذن، ما معنى كلمة (حمار) باللغة الإنجليزية؟».

فأجابه تودو: «a-s-s,ass».

راحت شياويو تصيح وهي تقفز: «هذا رائع!»؛ فنظر هاو هاو إليها وقال بغضب: «أخوك هو من أجاب وليس أنتِ»، فقالت له شياويو: «وما الأمر في ذلك؟ دع أخاك يأتي ويجيب»؛ فخفض هاو هاو رأسه، فهو ليس لديه أخ.

عندما حان وقت درس شياويو. لم يذهب هؤلاء الأطفال إلى منازلهم، واتكؤوا على حافة نافذة منزل تودو ليشاهدوا الدرس. وحين طلب تودو من شياويو أن تقرأ القصيدة الكلاسيكية، بدأ الأطفال خارج النافذة في القراءة في انسجام تام، قبل أن تبدأ شياويو في قراءتها.

فضحك تودو وقال لهم: «ما رأيكم أن تدخلوا أيضًا وتحضروا الدرس مع شياويو؟!».

فاندفع الأطفال إلى المنزل، وسرعان ما صار الجو مفعمًا بالحيوية. هناك بعض الأسئلة التي لا يحتاج تودو لشرحها، فبمجرد أن يجيب الأطفال الآخرون، يطرح تودو السؤال مجددًا على شياويو، وتجيب هي أيضًا.

في اليوم التالي، جاء مزيد من الأطفال ليحضروا الدرس مع شياويو، وكان بعضهم يحمل حقائب مدرسية جديدة. نظرت شياويو إلى تلك الحقائب الجديدة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهمست لأخيها: «أخي، أنا أيضًا أريد حقيبة مدرسية جديدة»، فربت أخوها على رأسها قائلًا: «حسنًا، عندما تبدأ الدراسة، سيشتري لك أخوك واحدة، الأجمل على الإطلاق!»؛ ففرحت شياويو، وتعلمت بجد أكثر.

ولأن عدد الأطفال كان كبيرًا جِدًا، لم تتسع لهم الغرفة؛ لذلك نقل تودو مكان الدرس خارج المنزل تحت شجرة الدردار العجوز، حيث علَّق السبورة على جذع الشجرة، وكان رأس الشجرة بمثابة سقف الفصل.

وعلى الرغم من أنهم استخدموا كل المقاعد والكراسي في المنزل، فإنها لم تكفِ؛ فبحث تودو عن بعض الألواح الخشبية ووضع فوقها بعض الطوب لتبدو مثل الطاولات والمقاعد والكراسي.

بعد ذلك، جلس الأطفال جميعًا حول شجرة الدردار في هيئة نصف دائرة، وحضر الحمار الدرس معهم.

عندما اشتد ضوء الشمس، حرك تودو السبورة والطاولات والكراسي؛ حتى يتمكن الجميع من الجلوس في الظل. قالت شياويو لأخيها: «يا أخي، نحن هكذا شكلنا فصلًا مستديرًا، أليس كذلك؟».

ابتسم تودو وأثنى على شياويو، فقال هاو هاو: «يا أستاذ، لقد نادتك بأخي، ولا يجب أن تدعوك بأخي أثناء الدرس»؛ فنظر تودو إلى شياويو؛ فاحمرَّ وجهها خجلًا.

في الاستراحة بين الدروس، أحاط الأطفال بتودو، وطلبوا منه أداء فنون الدفاع عن النفس، فسألهم تودو متعجبًا: «من قال إنني أجيد فنون الدفاع عن النفس؟».

فأجاب الأطفال في الوقت نفسه، وبعضهم تكلم بنفس لهجة شياويو وقالوا: «يلعب أخي فنون الدفاع عن النفس بشكل رائع!».

جال تودو ببصره بين الأطفال يبحث عن شياويو، التي اختبأت خلف الشجرة ولم تجرؤ على الخروج، فضحك تودو، وقال بصوت عالٍ: «هذا اقتراح جيد، حسنًا سأبدأ معكم الآن حصة التربية البدنية».

بعدما هدأت الأصوات، قفزت شياويو من خلف الشجرة. أما تودو فجلس القرفصاء، وضمَّ كفيه معًا، ثم أغمض عينيه، وبعدها صرخ: «آه»، ثم تذكر فجأة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عندما كان يتدرب فوق السطح وسقط داخل الغرفة، ففتح عينيه ووقف على قدميه ونظر إلى الحمار. الآن في هذا الفناء لا يوجد سوى الحمار الشاهد العِيان الوحيد على الحادث وقتها.

أمال الحمار رأسه ونظر إلى تودو دون أن يُظهر أي تعبير.

جلس تودو القرفصاء مرة أخرى، وضمَّ كفيه معًا، ثم أغمض عينيه، وبعدها صرخ: «آه»، وركل ركلة في الهواء. وفجأة رفع الحمار عنقه وراح ينهق؛ ففزع الأطفال وركضوا خلف شجرة الدردار.

توقف تودو، وفتح عينيه على اتساعهما، فرأى العم سان يسير مُشبكًا يديه خلف ظهره وداخلًا الفناء.

---

(5) شياويو تعني السمكة الصغيرة.

(6) دا يو تعني سمكة كبيرة.

(7) تودو تعني بطاطس.

(8) (تشن) هو اسم عائلة تودو.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السابع

قمر فوق قمة الشجرة

دخل العم سان فناء منزل تودو، واقترب من الحمار وربَّت على ظهره، فتوقف الحمار عن النهيق.

أضاف العم سان بعض العلف في وعاء الحمار، ثم أشار للأطفال وقال لهم: «العبوا يا أطفال، لقد توقف الحمار عن النهيق».

فجاء تودو وقال له: «العم سان..»

فقال له العم سان: «تودو، دع الأطفال يلعبون معًا، أريد أن أخبرك بأمرٍ ما».

فاقترب تودو من العم سان وقال له: «يا عم سان، تشانغ دو فو أهداني هذا الحمار».

فابتسم العم سان قائلًا: «ما دام الحمار مربوطًا في فناء منزلك، فأنا مطمئن. هذا الحمار لا ينبغي أن يكون مع تشانغ دو فو».

ركضت شياويو فجأة، وقالت للعم سان: «يا عم سان، لا تدعوه بالحمار، إن له اسمًا!».

لم يفهم العم سان وسألها: «من له اسم؟».

فأجابت شياويو: «الحمار! اسمه الآن الحمار تشن!».

ذهل العم سان، وقال ضاحكًا: «حسنًا! يجب أن يُطلق عليه لقب تشن، ويجب أن يسمى (الحمار تشن)!».

لوَّح تودو إلى شياويو ليطلب منها أن تلعب مع الأطفال.

نظر العم سان إلى تودو وقال له: «يا تودو، أنا لم آتِ من أجل الحمار هذه المرة. فما دام الحمار ملكًا لك الآن، فليس لديَّ ما أقوله. لقد أتيت من أجل شيء أكثر أهمية». وبينما يتحدث أخرج ورقة من جيبه وسلَّمها لتودو.

كانت الورقة مطوية على شكل حمامة؛ ففتحها تودو بعناية وقرأ ما بها:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«لم أهرب من المنزل، أنا فقط لا أريد التدخُّل في أمور البالغين بعد الآن. الآن أشعر بالملل قليلًا، وأرغب أن آتي عندك وأعلّم شياويو اللغة الإنجليزية، فهل سترحب بي أم لا؟».

بعد أن قرأ تودو المكتوب في الورقة، صاح فجأة: «تشانغ تشون ني! أين هي؟».

فأشار له العم سان، ليخفض صوته، فالتفت تودو لينظر إلى الأطفال، وكانوا يقضون وقتًا ممتعًا، ثم همس للعم سان: «هل تعرف مكان تشانغ تشون ني؟ لماذا لم تقل ذلك سابقًا؟».

فضحك العم سان وقال: «ألم أخبرك آنذاك أنها بخير؟».

- «هل هي مختبئة في منزلك؟».

فابتسم العم سان ولم يُجب.

فقال تودو: «ماذا تريد أن تفعل مع تشانغ تشون ني؟».

فجأة غضب العم سان وقال: «ماذا يمكنني أن أفعل لها؟ أنا جدها! إنها تأكل وتنام جيدًا، لكنها تشعر بالملل والاكتئاب، هذا ليس...».

فقاطعه تودو قائلًا: «إذن دعها تأتي! أخبرها أنني أرحّب بها».

ضحك العم سان، ووضع يديه خلف ظهره مرة أخرى، وخرج من الفناء. وعندما وصل إلى البوابة، التفت لينظر إلى الطاولات والكراسي والمقاعد المصنوعة من الطوب، وقال: «بيتي به الكثير من الطاولات والكراسي القديمة. سأحضر لك بعضًا منها غدًا»، ولوّح لتودو: «اذهب والعب مع الأطفال».

بعد تناول العشاء، وعندما كانت شياويو على وشك الخروج للعب، فتحت تشانغ تشون ني الباب ودخلت المنزل. فقفزت شياويو من المفاجأة وألقت بنفسها في أحضان تشانغ تشون ني: «أختي تشون ني، لديّ حمار في منزلي!».

شدَّ تودو شياويو وكان واقفًا بجانبها، وابتسمت تشون ني بشكل غير طبيعي.

تعجبت شياويو للحظات، وفكرت لبرهة ثم قالت: «حسنًا، أتذكرين ذلك الحمار من منزلك؟!».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأسرع تودو وقال: «نعم، كانت أختك تشون ني تفكر في الحمار، لذا جاءت لتلقي نظرة عليه».

بدا وجه تشانغ تشون ني مبتسمًا لكنها لم تبتسم وقالت: «بالطبع أنا لست هنا من أجل هذا الحمار! لا تغيّر الموضوع».

حكّ تودو رأسه، وأراد أن يضحك ولكن لم يجرؤ.

فضحكت تشون ني وقالت له: «أنا لن أزعجك، أسرع وقُم بعملك وأنا سأعلّم أختك اللغة الإنجليزية».

فذهب تودو ليلتقط صحون العشاء ويرتب المائدة.

وبينما شياويو تأخذ القلم والدفتر قالت: «أختي تشون ني، هل نسيتِ؟ أنا لديّ اسم، اسمي تشن شياويو!».

فقالت تشون ني: «حسنًا حسنًا، اسمك تشن شياويو!».

قالت شياويو: «حماري أيضًا له اسم، اسمه الحمار تشن»، ثم أخرجت لسانها لتودو عندما نظرت إليه ورأته يحدجها بنظره، وقالت له: «هل أخطأت مجددًا؟ لكن أنا لم أختر اسم الحمار، أخي من اختار اسمه».

فنظرت تشون ني إلى تودو، وضحكت بأعلى صوتها، مما جعل تودو يشعر بالإحراج.

فتوقفت تشون ني عن الضحك، وطلبت من شياويو أن تبدأ درس اللغة الإنجليزية. وبعد وقت قليل من الدراسة، خطر على بال شياويو حيلة جديدة، وسألت تشون ني كيف تقول «فأر» باللغة الإنجليزية، ثم سألتها أيضًا كيف تقول «دب أسود» و«غبي» و«سلحفاة»؛ فانتبهت تشون ني لحيلتها، وقالت لها: «تشن شياويو، هل تريدين أن تَسبّي الآخرين باللغة الإنجليزية؟»؛ فقالت لها شياويو لتناقش معها: «بالطبع لا»، ثم سكتت ولم تكمل ما إنْ رأت تودو يدخل الغرفة بعدما أنهى ترتيب المائدة وغسل الصحون.

قال تودو: «إن شياويو مطيعة، ولن تسب الآخرين».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فاحمرّ وجه شياويو خجلًا وقالت: «أنا لا أريد أن أتعلّم هذه الكلمات لأسبّ الآخرين، فقط أريد أن أعرف كيف أقولها بالإنجليزية».

نظر تودو وتشون ني بعضهما إلى بعض، ثم قال تودو لأخته: «اتركي المعلمة تشون ني تأخذ قسطًا من الراحة، وأنا سأعلمك شيئًا آخر»؛ فقفزت شياويو بطاعة، وذهبت لتحضر دفترًا آخر.

أراد تودو أن يعلّم شياويو ما سيشرحه في الغد؛ فقد تعلّم تودو تحضير الدروس، وفي الوقت نفسه سيساعد شياويو في الاستعداد لدرس الغد. إن تأسيس شياويو أقل من بقية الأطفال؛ لذلك إذا حضرت دروسها في اليوم السابق لشرح الدرس، فستزداد ثقتها بنفسها.

جلست تشون ني على حافة السرير، وأخرجت هاتفها لتلعب به. يعرف تودو أن عمة تشون ني تمتلك متجرًا للهواتف في المدينة، لذلك تمتلك تشون ني هاتفًا منذ مدة طويلة، لكنها نادرًا ما تستخدمه.

لاحظت تشون ني أن شياويو متعبة قليلًا، فطلبت منها أن تأتي وتلعب بألعاب الهاتف، وبالصدفة نظرت إلى تودو وقالت له: «كل مدى تبدو مثل المعلم أكثر».

فابتسم تودو وقال: «حقًا؟ لا بأس بي».

رفعت شياويو وجهها فجأة، وقالت: «أخي، يبدو أنك تشتم».

فضحكت تشون ني، واحمرّ وجه تودو خجلًا مرة أخرى. فخفض رأسه وأكمل تحضير الدرس، لكنه لم يكن منتبهًا كليًا، وكان من وقت لآخر يسترق النظر إلى تشون ني.

وفي مرة أمسكته تشون ني وقالت له: «تودو، هل تريدني أن أرحل؟».

وما إن سمعت شياويو ذلك، حتى قفزت من الأرض وصاحت: «لا، لن أترك أختي تشون ني تغادر».

فوقف تودو على الفور وقال: «أنا، هذا ليس... أنا فقط أفكّر كيف ستبيت المعلمة تشون ني هنا».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استدارت تشون ني ونظرت إلى السرير الكبير والستائر المُعلقة بجانب النافذة، وقالت: "أنا لست متطلبة للغاية. سأستخدم هذه الستائر لفصل الغرفة إلى غرفتين!".

كانت شياويو قد قفزت بالفعل وعانقت ساق تشون ني، واستدارت وصاحت في تودو: "أخي، أريدك أن تفصل الغرفة إلى ثلاث غرف، وينام كل منا في غرفة!".

نظر تودو إلى تشون ني وقال: "هناك ستارة واحدة، يمكننا فصل غرفتين فقط".

لم تنتظر شياويو حتى تتحدث تشون ني، وقال على عجل: "كيف سننام نحن الثلاثة في غرفتين؟ هل ستنام أنت وتشون ني في غرفة واحدة؟".

غطّت تشون ني وجهها وضحكت.

قال تودو: "الطالبة تشن شياويو، أنتِ الآن متعلمة. عليكِ أن تستخدمي عقلك عندما تواجهين المشاكل. فكري في الأمر، ما أنسب طريقة لننام ثلاثتنا في غرفتين؟".

قالت شياويو لنفسها وهي تحكُ رأسها: "غرفتان لثلاثة أشخاص، أنا وأخي ننام في غرفة، والأخت تشون ني في غرفة؟ لا، هذا ليس مناسبًا. أنا وأختي تشون ني ننام في غرفة، وأخي في غرفة؟ نعم، هذا هو الأنسب!".

في أعماق الليل كان الجوُ هادئًا، وكان القمر فوق قمة الشجرة.

كانت النافذة بدون ستائر، وكان ظل شجرة الدردار يتراقص على النافذة.

كانت شياويو متعبة من اللعب، وغطت في نوم عميق؛ فتهامس تودو وتشون ني من خلف الستائر.

سأل تودو تشون ني عن خططها المستقبلية، فقالت تشون ني: "حسنًا، سأذهب إلى عمتي بعد يومين!".

فوجئ تودو وسأل على عجل: "ستذهبين إلى المدينة؟".

قالت تشون ني: "نعم! ما الأمر؟".

ظلَّ تودو صامتًا لبعض الوقت، ثم قال: "ظننت أنني إذا أخذت الحمار، فلن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تهربي مرة أخرى".

ابتسمت تشون ني وسألت تودو عن أفكاره في المستقبل.

فكر تودو قليلًا، ثم قال: "أنا في الواقع شخص ليس لديه أي أفكار. فعندما كنت طفلًا، تطلعت أن يكون والداي لطيفين، وأن أتمكن من رؤية الدخان يتصاعد من مطبخ المنزل كل يوم عند عودتي. لكن لاحقًا تحطمت هذه الفكرة، وفي الربيع، عندما كان لديَّ الحمار، فكرت أنه يمكنني العيش بسعادة مع هذا الحمار. لكن لاحقًا، تحطمت هذه الفكرة أيضًا، ثم عادت أختي شياويو، واختفى والديَّ وانقطعت أخبارهما، وصارت أختي محور أفكاري. وفي الأيام القليلة الماضية، كنت أشعر بسعادة كبيرة وأنا أعلّم أختي وهؤلاء الأطفال".

جلست تشون ني فوق، وظلّت صامتة لفترة طويلة.

وجلس تودو أيضًا وسألها بصوت خافت: "تشون ني، ما خطبك؟".

ابتسمت تشون ني وقالت: "تودو، أنت حقًا شخص جيد، لكن بعد سماع أفكارك أرغب في البكاء! من السبب في تحطيم أفكارك؟ هؤلاء الكبار! إنهم مثيرون للسخرية، لكنهم لا يعلمون ذلك؛ لذلك أودُّ حقًا الخروج والبحث عن الحياة التي أريدها؛ سأذهب إلى المدينة للدراسة في الفصل الدراسي القادم، وقد أكملت عمتي بالفعل إجراءات النقل من أجلي!".

ظلَّ تودو صامتًا لبعض الوقت، ثم قال: "تشون ني، لديك أفكارك الخاصة، وهذا ليس خاطئًا. أنا معجب بشجاعتك!".

ضحكت تشون ني قائلة: "حقًا؟ أنا أيضًا معجبة بطيبة قلبك، لكنني أفتقد إلى ما تملكه أنت من القدرة على التحمل". ثم بدأ صوتها يصير جِديًا فجأة وهي تقول: "تودو، أظن أنك مع مرور الوقت تصير مثل الحمار أكثر، فأنت تعمل بإصرار وجَلَد دون أن تتذمر، مستعد دائمًا للعطاء، مخلص وتتحلى بالإيثار، كما أنك تختلس السعادة!".

وبينما تشون ني تتحدث، استلقت على السرير وتابعت: "تودو، أشعر بالنعاس، سأنام الآن".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمال تودو رأسه لينصت، لكنه لم يسمع أيّ صوت من ناحية تشون ني، فاستلقى ببطء، وحدّق في ضوء القمر وظل الشجرة خارج النافذة، وهو يفكر في كلمات تشون ني، وظل مستيقظًا لفترة طويلة حتى تمكن من النوم.

في صباح اليوم التالي، استيقظ تودو مبكرًا. وأضاف بعض العلف والماء إلى الحمار، ووقف بجانب الحمار لفترة يفكر، ثم غادر الفناء وذهب إلى منزل تشانغ دو فو.

يستيقظ تشانغ دو فو كل يوم مبكرًا لصناعة التوفو، ومع ذلك في اليومين الماضيين لم يصنع التوفو. وهو الآن يجلس القرفصاء مكتوف الأيدي عند بوابة الفناء. ثم وقف عندما رأى تودو قادمًا.

تقدم تودو وقال له: "العم تشانغ".

لوّح تشانغ دو فو بيده، ليقطع كلامه، وقال: "تشون ني في منزلك، أليس كذلك؟".

اتسعت عيون تودو، ولم يعرف كيف يقول الكلام الذي أعده مسبقًا.

ابتسم تشانغ دو فو، ونظر إلى منزل جاره العم سان، وقال: "أعرف أيضًا أن تشون ني اختبأت في منزل جَدها في الأيام الماضية".

فجأة لم يعرف تودو ماذا يقول، فقال: "العم تشانغ".

ابتسم تشانغ دو فو وهزَّ رأسه قائلًا: "تودو، أنا أعرف طباع ابنتي تشون ني، إذا ذهبت إليها الآن وأجبرتها على العودة فلن تعود. دعها تبقى في منزلك لمدة يومين"، ثم رفع رأسه ونظر إلى تودو وأردف: "العم يثق بأنك ولد جيد، فما دامت تشون ني في منزلك، فإن عمك مطمئن!".

حركت هذه الكلمات مشاعر تودو حتى أوشكت دموعه على الخروج، فحاول أن يقول: "أيها العم تشانغ..."، وفتح فمه، لكنه لم يقل أي شيء.

عندما عاد تودو وجد تشون ني تقف عند الباب في انتظاره، ولما رأته سألته: "هل ذهبت إلى منزلي؟". أمالت تشون ني رأسها وحدّقت في تودو. وكان تودو ينظر إليها ويشعر بالخجل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قالت تشون ني: "كنت أعرف أنك ستفعل ذلك، وإلا فلن تكون تودو".

رفع تودو رأسه، ودقّق مليًا في التعبير المرتسم على وجه تشون ني، وقال بهدوء: "أخشى أن تقلق عائلتك، لذلك ذهبت لإخبارهم. كما سيأتي الأطفال إلى الدرس لاحقًا، وسوف يرونك أيضًا".

فضحكت تشون ني قائلة: "ألا تستطيع إخفائي؟".

نظر تودو حوله وقال: "أين ستختبئين؟".

قال تشون ني: "غبي! أسرع وادخل إلى المنزل لتناول العشاء، لقد طهوت عصيدة الأرز والبيض!".

جاء الأطفال إلى الدرس، وشعروا جميعًا بالفضول عند رؤيتهم لتشون ني.

قال تودو: «هل تعرفونها؟».

كان الأطفال يعرفونها جميعًا. فقال البعض إنها العمة تشون ني، وقال آخرون إنها الخالة تشون ني، وقال معظمهم إنها الأخت تشون ني؛ فضحكت تشون ني. بعد ذلك، وقفت شياويو على الكرسي وقالت بجدية: «هذا غير صحيح، إنها المعلمة تشون ني!»، ثم رفعت وجهها لتنظر إلى تودو وانتظرت المديح.

فابتسم لها تودو وقال: «الطالبة شياويو على حق»، ثم نظر إلى الطلاب وقال: «ستعلمكم المعلمة تشون ني اليوم اللغة الإنجليزية والموسيقى والرسم»، وما إن قال ذلك حتى وكزته تشون ني التي كانت تقف خلفه وقالت له: «ومن أين لي أن أعرف الموسيقى والرسم؟»؛ فالتفت تودو وقال لها: «هل أنتِ أفضل مني؟ أنا أيضًا أقوم بأكثر من وظيفة في الوقت نفسه»، ثم فكر قليلًا وقال: «أنا أدرّس اللغة الصينية والرياضيات والتربية البدنية، نحن الاثنان متساويان في عدد المواد الدراسية التي نعلمها للطلاب، وإضافة إلى ذلك، عليّ أن أتولّى مسؤولية الصف!»؛ فقالت له تشون ني: «أنت رائع، عليك أيضًا أن تكون مدير شؤون الطلاب والناظر في الوقت نفسه، أليس كذلك؟».

كان تودو متحمسًا للغاية، وذلك بسبب مشاركة تشون ني. وكذلك الأطفال كانوا متحمسين للغاية لدرجة أنهم رفضوا أخذَ قسط من الراحة بعد انتهاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدرس. فتناقشت تشون ني مع تودو واتفقا على تقسيم الأطفال إلى مجموعتين، فأخذت تشون ني مجموعة الفتيات وأخذ تودو مجموعة الأولاد، حيث تتنافس المجموعتان في عدة مسابقات، اقترح المعلمان مواضيعها. ويشمل محتوى المسابقة تهجئة الكلمات، وقراءة القصائد الكلاسيكية، وأسئلة السرعة في الحساب، ومفردات اللغة الإنجليزية والمحادثة. يحصل الفريق الفائز على وردة حمراء على السبورة، أما الفريق الخاسر فعليه أن يؤديَ عرضًا.

وامتلأت الأجواء حماسة.

في وقت لاحق، قال تودو لتشون ني، التي كانت تتصبب عرقًا: «انظري، ما مدى سعادتك بالتواجد مع الأطفال طوال اليوم!».

أخذت تشون ني دفترًا لتهوية نفسها، وقالت لتودو وهي تحدّق فيه: «سأطرح عليك مسألة حسابية: مضت نصف العطلة الصيفية، فكم يومًا ستدوم سعادتك؟».

لم يغضب تودو؛ لأنه يعلم أنها تتعمد إثارة غضبه، فأجابها وهو يعد على أصابعه:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«سأجيب سؤالك: بعد أن يبدأ الأطفال المدرسة، سيكون هناك أيام السبت والأحد، وبعد انقضاء أيام السبت والأحد، ستحل العطلة الشتوية، وبعد انقضاء العطلة الشتوية، ستكون هناك أيام السبت والأحد مرة أخرى، ومن ثم العطلة الصيفية».

رفعت تشون ني إبهامها وقالت: «يا إلهي، أنت حقًا موهوب، لم لا يمكنني التعلم منك؟».

بعد يومين، عندما استيقظ تودو في الصباح، وجد الفطور جاهزًا في المطبخ، ووعاء الحمار في الفناء به علف طازج. فركض عائدًا إلى الغرفة لكنه وجد شياويو تنام وحدها، ورأى هاتف تشون ني على وسادتها، وورقة أسفل الهاتف:

«تودو:

أنا سأغادر. اطمئن، سأعود إلى المنزل لألقي التحية، ثم استقل حافلة الصباح إلى المدينة. سأترك لك هذا الهاتف، حتى نتواصل بسهولة، وأنا سأشتري هاتفًا جديدًا. أخبر شياويو أنني أحبها كثيرًا وسأشتري لها حقيبة مدرسية جديدة عندما تبدأ المدرسة.

تشانغ تشون ني».

أشرقت الشمس، وتخللت أشعتها نافذة المنزل، وكان المنظر مبهرًا.

دقّق تودو في الورقة، وقرأ ما فيها من كلمات مرتين، ثم التقط الهاتف ونظر إليه، وأمسكه بلطف في يده.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثامن

الأخوان يذهبان للتسوق

قبل بدء المدرسة، يخرج بعض الأطفال مع والديهم للعب. كان لدى تودو أيضًا ما يفعله؛ لذلك أعطى الأطفال إجازة لمدة ثلاثة أيام ومنعهم من الحضور إلى الفصل.

ذهب تودو أولًا لتسجيل أخته في المدرسة، وإنهاء إجراءات الالتحاق بالمدرسة. تبعد المدرسة حوالي كيلومترين عن المنزل. وبينما تودو يسير عائدًا إلى المنزل خطر على باله أن شياويو ستسير في هذا الطريق كل يوم، وستكون سعيدة مع الأطفال الآخرين، وهم يتحدثون ويضحكون، كما أنها ستكون مثله تمامًا عندما كان طفلًا، عندما كان يتوق لرؤية الدخان يتصاعد من المطبخ، ويتوق لتناول كعك الفاصوليا اللزج الذي ينتظره في القدر. تولدت مسؤولية جديدة في قلب تودو، حيث يجب عليه العودة مبكرًا كل يوم ليطهو الطعام لأخته.

عندما اقترب تودو من المتجر، شعر أن الجو حار، وتذكر أن أخته في المنزل وبالتأكيد تشعر بالظمأ؛ لذا دخل المتجر واشترى بعض المثلجات، ووضعها في كيس بلاستيكي وحملها وعاد إلى المنزل، وفي الطريق كان يلقي نظرة خاطفة من حين لآخر على المثلجات الباردة، ثم يبتلع ريقه، ولا يأكلها؛ لأنه يريد أن يأكلها مع أخته.

عندما وصل تودو إلى المنزل، ودخل الفناء، نظر الحمار إليه، ثم أحنى رأسه ليأكل من الوعاء الصغير. ولم تركض شياويو لاستقباله كعادتها. وجد تودو الأمر غريبًا بعض الشيء؛ فقبل أن يخرج، حث شياويو أن تعتني جيدًا بالمنزل وألا تخرج. وحسبما يظن، فإن شياويو مطيعة، وبالتأكيد ستصيح وتركض إليه عندما يعود. لكن الفناء هادئ جدًا.

دخل تودو إلى الغرفة الخارجية ونظر بداخلها بحذر، ربما شياويو مختبئة في مكان ما، وستقفز فجأة لتفزعه، ثم تقع على الأرض من الضحك. غالبًا ما كانت شياويو مجنونة بهذا الشكل. ومع ذلك لم تكن هناك أي حركة على الإطلاق.

أسرع تودو إلى غرفة النوم، وما إن دخل حتى رأى الألحفة والوسائد مكدسة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معًا لتشكل كوخًا صغيرًا.

قفز تودو وصعد على السرير، فوجد شياويو نائمة داخل الكوخ الصغير.

كان الجو حارًا جدًا، وشديد الحرارة فوق السرير. كانت شياويو تستند إلى زاوية الجدار، ووجهها أحمر من شدة الحر، والعرق ينضح من جبينها ويبلل شعرها.

حرّك تودو الألحفة والوسائد جانبًا، وجلس القرفصاء ومسح العرق من جبين أخته بكفه، وهمس لها: «شياويو، شياويو... انهضي».

فتحت شياويو عينيها، ونظرت إلى تودو، ثم إلى الألحفة والوسائد بجانبه، وقفز فجأة قائلة: «أخي! لقد حطمت كوخي!».

ضحك تودو قائلا: «أي نوع من الأكواخ هذا؟ لو لم أعد، لَمُتِ من شدة الحر!».

فقالت شياويو: «لقد مكثت فترة طويلة لأبنيه، وأنت حطمته بضربة واحدة. أريدك أن تدفع الثمن!»، ثم رفعت قبضتها وضربت تودو.

فقال تودو وهو يفكر في المثلجات التي اشتراها: «حسنًا، سأدفع. سأعوضك بالمثلجات، حسنًا؟»، ثم رفع كيس المثلجات على السرير، فوجد المثلجات قد ذابت، والماء يتساقط.

نظرت شياويو إلى ماء المثلجات، وفجأة ضحكت بصوتٍ عالٍ حتى إنها وقعت على السرير من شدة الضحك.

كان تودو سعيدًا أيضًا، وقال لشياويو وهو يُقلّد لهجتها: «أريدك أن تدفعي ثمن مثلجاتي!».

فازدادت ضحكات شياويو.

نزل تودو من السرير وذهب إلى المطبخ ليُحضر طبقين، وسكب المثلجات الذائبة فيهما، ثم أعطى شياويو الطبق الكبير، بينما أخذ هو الطبق الصغير.

لم تتمالك شياويو ضحكاتها، فكانت تضحك تارةً وتشرب تارة، بينما تقول: «أخي، المنزل ممل من دونك، لكن حالما أتيت صار المنزل ممتعًا».

أومأ تودو برأسه قائلًا: «لقد استخدمت كومة من المثلجات فقط لأضحكك أيتها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الآنسة».

وفجأة تذكرت شياويو شيئًا آخر وتوقفت عن الضحك: «كل الأطفال سيخرجون مع آبائهم لقضاء وقت ممتع، أريد أن أخرج أنا أيضًا».

فقال تودو: «حسنًا، ماذا؟».

فقالت شياويو: «كنت أعرف أنك لن توافق»، ثم شربت ماء المثلجات، ومسحت فمها بكفها، وزمت شفتيها.

لوَّح تودو بيده، وقال: «يا للهول، قبيح! قبيح!».

أدارت شياويو وجهها جانبًا، وانتظرت هكذا قليلًا، لكنها لم تسمع صوتًا لتودو، فاستدارت مجددًا بهدوء، فوجدته ينظر إليها وهو يبتسم، فأدارت وجهها إلى الجانب مرة أخرى.

ناداها تودو بصوت عالٍ: «الطالبة شياويو».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قالت شياويو: «لا، نحن لسنا في الفصل الآن، لا تدعُني بهذا اللقب».

- «أختي شياويو!».

لوّحت شياويو بقبضتها وكادت تضرب تودو، فاغتنم تودو الفرصة وعانقها قائلًا: «كيف عرفتِ أن أخاك سيأخذك للعب؟».

فارتفعت البسمة على وجه شياويو، وسألت: «أخي، أين سنذهب؟».

فأجابها تودو: «سنذهب إلى البلدة، وأشتري لكِ حقيبة مدرسية وملابس جديدة، وسنأخذ الحمار معنا أيضًا».

فاقتربت شياويو من تودو فجأة وطبعت قبلة كبيرة على خده وقالت: «أخي، أنت حقًا رائع!».

ساق تودو الحمار، وانطلق الثلاثة إلى البلدة.

كانت شياويو متحمسة للغاية، وصارت تركض أمامهما وخلفهما وهي تغني. أما الحمار، فكان متحمسًا أيضًا، ولولا أنَّ تودو يشد على لجامه، لتدحرج الحمار على الأرض من شدة الحماس.

سيطر تودو بقوة على الحمار بينما نبَّه شياويو: «احذري من أن (يرفسك) الحمار!».

- «أخي، ما معنى (يرفس)؟».

فركل تودو بقدمه ركلة خلفية أثارت التراب في الأرض، فتصاعد التراب في الهواء مثل الدخان، ثم قال لها: «هل رأيتِ ذلك؟ هذا هو (الرفس)».

ركضت شياويو أمام تودو، وركلت ركلة خلفية مقلدة تودو، فأثارت التراب الذي تصاعد في الهواء مثل الدخان، وقالت: «أرأيت يا أخي؟ أنا أيضًا أستطيع أن أرفس». وقبل أن تنتهي شياويو من الكلام، رفع الحمار عنقه فجأة وأخذ ينهق؛ ففزعت شياويو وقفزت بجوار أخيها. فأمسك تودو يدها، وباليد الأخرى أمسك بلجام الحمار، ثم قال لها: «الحمار يضحك عليكِ، لأن ركلتك ليست قياسية».

تشبثت شياويو بيد أخيها ولم تجرؤ على الركض مجددًا، وسارت بجانب أخيها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بهدوء لبعض الوقت، ثم بدأت تشعر بالملل، وما إن شعرت بالملل، حتى غلبها النعاس وأرادت أن تنام.

نظر تودو إلى وجه شياويو، وشعر بالأسى، ففكر أن يجعلها تركب على ظهر الحمار. نظرت شياويو إلى الحمار بشيء بنظرات خائفة وقالت لأخيها: «أخي، أخاف أن ينهق الحمار ويرفسني».

فضحك تودو، وطلب من أخته أن تتنحى جانبًا وتُفسح الطريق، ثم سند على ظهر الحمار وقفز مرة واحدة ليركب فوق ظهر الحمار، ثم ضرب الحمار بقدميه، وصاح: «انطلق»، فركض الحمار حاملًا تودو فوقه.

بينما تبعته شياويو وهي تصرخ: «أخي.. أخي».

شدَّ تودو لجام الحمار، فتوقف الحمار وقفز تودو لينزل من فوقه، ثم قاد الحمار وعاد إلى شياويو، وضحك قائلًا لها: «ما الأمر؟ هل تشعرين بالغيرة؟».

وقفت شياويو مكانها بلا حَراك، وقالت وهي تمسح عينيها بظهر يدها: «أخي، لقد ظننت أنك ستهرب بعيدًا وتتركني».

فقال لها تودو: «ما هذا؟ هل حقًا تبكين؟ أيتها السخيفة»، ثم أمسك الحمار بيده اليسرى، وعانق شياويو بيده اليمنى ورفعها فوق ظهر الحمار.

صرخت شياويو وهي منكبة فوق ظهر الحمار، كان تشعر بالخوف والحماس في آن واحد، والدموع ما زالت تتلألأ على رموشها، لكن الابتسامة ترتسم على ملامحها.

وضع تودو إصبعه على فمه ليشير إلى شياويو ألا تصرخ وقال لها محذرًا: «انتبهي، إذا صرخت فسيرفسك الحمار»، فأغلقت شياويو فمها على الفور، وحبست أنفاسها فاحمرَّ وجهها، ولم تجرؤ أن تنبس ببنت شفة.

قال لها تودو آمرًا: «اجلسي مستقيمة، أنتِ الآن مستلقية على الحمار ولا تجلسين فوقه».

فبدأت شياويو تعتدل في جلستها بروية، وأنفاسها تنتظم تدريجيًا.

حدَّق المارة في شياويو التي تجلس على الحمار، وابتسموا لها، فشعرت شياويو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالفخر، وجلست باستقامة ولوّحت لهم بيدها وهي تقول: «Hi Hi».

فضحك تودو قائلًا: «شياويو، هل تعرفين هؤلاء الناس؟».

فأجابته شياويو: «لا أعرف، لكن يبدو أنهم يعرفونني، ألا ترى أنهم يبتسمون لي؟».

بعد أن وصل تودو وشياويو والحمار إلى البلدة، بدأت السيارات تزداد بكثرة، وكذلك الناس؛ فقاد تودو الحمار على جانب الطريق، لكن ما زال هناك الكثير من الناس الذين يحدقون فيهم بفضول واستغراب؛ إذ نادرًا ما يرون شخصًا يركب حمارًا إلى السوق.

جلست شياويو بشكل طبيعي أكثر، وكان جسدها يتمايل بحرية مع حركة الحمار. كانت تجلس عاليًا؛ لذا أمكنها الرؤية لمسافة أبعد من تودو: «انظر إلى هذا يا أخي، انظر إلى ذاك يا أخي»، فقال تودو الذي أحكم إمساك لجام الحمار: «حسنًا، حسنًا. أنا أنظر».

وبعد أن وصلوا إلى السوق، اشترى تودو أولًا بضعة أجراس وعلّقها حول رقبة الحمار. ومجرد أن بدأ الحمار يسير حتى جلجلت الأجراس، فتنحّى الناس جانبًا وأفسحوا الطريق للحمار. وكانت شياويو أكثر فخرًا.

كلما توغلوا داخل السوق، ازداد عدد الناس. أرادت شياويو أن تنزل من فوق الحمار، فحملها تودو وأنزلها برفق، لكن ساقي شياويو كانتا ضعيفتين لأنها جلست لفترة طويلة على ظهر الحمار، وظلت واقفة لفترة لا تستطيع أن تحرك قدميها وتسير، فحثها تودو أن تطأ قدميها وتتحرك، وقال لها ضاحكًا: «ما الأمر؟ هل الركوب على الحمار أمر ممتع، لكن الاستمتاع لفترة طويلة يسبب المعاناة؟»، ثم أمسك لجام الحمار بيد، وباليد الأخرى أمسك بشياويو، وببطء أكملوا سيرهم داخل السوق.

انبهرت شياويو بما تراه في السوق من ملابس مختلفة الأشكال والألوان. فكانت تنظر إلى هذه القطعة وتجرب تلك القطعة، ثم تذهب نظراتها إلى قطعة أخرى، حتى نفد صبر البائع. لكن تودو لم يبالِ، ونظر إلى شياويو وهو يبتسم، وتركها تجرب ما تريده. كانت شياويو تجرب الملابس في الأكشاك من أحد طرفي السوق،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم تعود من الطرف الآخر للسوق، حتى اختارت في النهاية التنورة المنفوشة التي رأتها في أول كشك. وسألت تودو: «هل تبدو جميلة؟»؛ فابتسم تودو ونظر أمام الكشك يبحث لها عن قطعة أخرى، فوجد قميصًا ورديَّ اللون واشتراه لها؛ لأن تشون ني تحب ارتداء القمصان الوردية اللون، فرأى أن القميص سيبدو جميلًا أيضًا على شياويو.

بعد اختيار الملابس، اختار تودو حقيبة مدرسية خضراء لشياويو، وساعدها في حملها على ظهرها.

بعد ذلك، بدأت شياويو في الصراخ بأنها جائعة.

رفع تودو رأسه ونظر إلى الشمس، وعلم أن الوقت قد تأخَّر، فأخذ شياويو وخرجا من الكشك. يوجد صف من الأكشاك التي تبيع الطعام ليس بعيدًا، حيث أقام البائعون سقيفة ووضعوا طاولات لبيع فطائر الوونتون ومالاتانغ الحارة. ترك تودو شياويو تختار أولًا، فاختارت أن تتناول مالاتانغ، أما تودو فاختار لنفسه وعاء من الوونتون. فهو يتذكر أنه تناول وعاء من الوونتون عندما أحضره والده إلى البلدة في الماضي، وكان مذاقه لذيذًا، لدرجة أن بعد عودته إلى المنزل بعدة أيام، كان يتذوق طعم تلك الفطائر كلما التمظ بشفتيه.

جهزت فطائر الوونتون أولًا، وأعطى تودو قطعة لشياويو لتتذوقها، وما إن تناولتها حتى تجعدت أنفها، وبالكاد ابتلعتها، وقالت: «إنها ليست لذيذة!»؛ فقال تودو: «لماذا ليست لذيذة؟»، ثم تناول رشفة من الحساء، والتمظ بشفتيه، ثم تناول قطعة وونتون، والتمظ بشفتيه ثانية، فوجد بالفعل أن مذاقها ليس لذيذًا كتلك التي تناولها في الماضي، ومع ذلك لم تكن سيئة إلى هذا الحد، فقال لأخته: «عندما جئت مع والدي إلى البلدة كان فصل الشتاء، ربما مذاق الوونتون في الشتاء أفضل».

صار طبق مالاتانغ الذي طلبته شياويو جاهزًا أيضًا، وراحت تتناوله وتتصبب عرقًا، ولم تتوقف عن التنفس من فمها، فاشترى لها تودو زجاجة مشروب، فكانت تأكل قطعة من المالاتانغ وترشف رشفة من المشروب، حتى شبعت تمامًا.

أكل تودو وشياويو وشربا حتى الشبع، لكن الحمار لم يأكل شيئًا بعد؛ لذا استعار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تودو وعاءً كبيرًا وملأه بالماء من البئر، وسقى الحمار. وبعد ذلك، رفع شياويو وأجلسها فوق ظهر الحمار وساق الحمار وخرجوا من السوق، فهرع الحمار إلى المنزل، وكان يسير على عجل في طريق العودة.

فكّر تودو في سبب سرعة الحمار، فوجد أن نصف اليوم قد مضى في لمح البصر، والحمار لم يأكل شيئًا طوال اليوم وشرب الماء فقط، بينما هو وشياويو تناولا الوونتون والمالاتانغ؛ لذلك يسير مسرعًا، شعر تودو بالأسف وحث الخطى ليواكب الحمار.

كانت ظلال الأشجار تطل على جانبي الطريق، ما يجعل النعاس يسري في أعين المارة. رأت شياويو قميص تودو مبللًا من العرق، فقالت له: «أخي، اركب على ظهر الحمار! أخي، أنا سأنام».

كان قلب تودو يتألم على الحمار، فكيف سيركب فوق ظهره؟ التفت تودو ونظر إلى شياويو التي غلبها النعاس وبالكاد تستطيع أن تفتح عينيها، وأجفانها لا تتوقف عن الحركة، فقال لها: «شياويو، أنتِ مقاتلة قوية! إذا نمتِ الآن، فستأخذ الرياح ملابسك الجديدة وحقيبتك المدرسية».

فتحت شياويو عينيها وتحسست بيدها الحقيبة التي تضمها بين ذراعيها ثم أغمضت عينيها مرة أخرى، ولم يسر الحمار بضع خطوات حتى وقعت شياويو من فوق ظهره.

ففزع تودو، وألقى لجام الحمار من يده، وهرع لإنقاذ أخته، فساعدها على النهوض، حدقت شياويو في تودو وفتحت فمها ولم تفهم ما الذي حدث.

خلع تودو الحقيبة من ظهر شياويو، وطلب منها أن تتحرك بسرعة ليرى إذا كانت عظامها سليمة أم لا.

حركت شياويو جميع أجزاء جسدها، وشعرت أن كل شيء طبيعي باستثناء القليل من الألم في مؤخرتها من أثر السقوط.

ابتسم تودو وبينما ينفض الغبار من جسد شياويو، أراد أن يذهب ويقود الحمار. في هذه اللحظة، جاءت شاحنة من الجانب الآخر، ولما كانت على وشك المرور،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أطلق السائق بوق الشاحنة بقوة. كان صوت البوق أقوى بكثير من نهيق الحمار، فارتجف قلب تودو، وفزع الحمار من شدة الصوت، وركل عدة ركلات خلفية ثم ركض بعيدًا.

بعد أن مرت الشاحنة، ظل التراب الذي أثارته في الهواء لفترة. حدق تودو في الحمار الذي ركض مسافة بعيدة بالفعل، وبينما يركض، يلتفت وينظر وراءه ثم يركل عدة ركلات خلفية.

قال تودو لشياويو: «هل رأيتِ ذلك؟ هذه هي رفسة الحمار القياسية!».

رفعت شياويو رأسها وحدقت في تودو وسألته: «أخي، لقد فرَّ الحمار، ماذا سنفعل؟».

قال تودو: «لا تقلقي، لن يضيع الحمار!»، ثم حمل حقيبة شياويو على ظهره، وأمسك يد شياويو وعادا إلى المنزل.

- «أحقًا لن يضيع الحمار؟».

- «لن يضيع».

- «أخي، هل يعرف الحمار الطريق؟».

- «نعم، يعرف الطريق، بل ويعرف المنزل أيضًا».

- «أحقًا ما تقول يا أخي؟».

- «حقًا. ومتى كذبت عليك؟».

وبينما يواسي تودو أخته، سارا مسافة بعيدة دون وعي. ولأنهما مشغولان بالتفكير في الحمار، لم يشعرا بالتعب أو النعاس.

وبالفعل عندما وصلا إلى المنزل، وجدا الحمار أمام وعاء الطعام يأكل العلف.

فأسرعت شياويو إليه وصاحت في وجهه: «أيها الحمار، أنت حقًا ذكي!».

رفع الحمار رأسه ونظر إلى شياويو، ثم نظر إلى تودو الذي يقف خلفها، وبدا وكأن وجهه الطويل مبتسمًا، وجلجلت سلسلة الأجراس الجديدة حول رقبته.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في المساء، اتصلت تشون ني.

وحدثتها شياويو: «أختي تشون ني، لقد ركض الحمار بمفرده إلى المنزل اليوم، وأيضًا، لقد سقط هاتفك في منزلي».

فضحك تودو وتشون ني عليها.

ثم قالت لها تشون ني: «أيتها الطالبة شياويو، لقد اشتريت لكِ حقيبة مدرسية ودمية على شكل دب، وأنا أبحث عن شخص خلال هذين اليومين ليوصلهما إليكِ».

فقال تودو الذي يجلس بجانب شياويو: «لقد اشترينا الحقيبة اليوم».

فقالت شياويو بلهفة: «لا، ماذا إذا اتسخت أو تمزقت؟».

فقال تودو لها مخادعًا: «إذن فأنتِ تحتاجين الحقيبة فقط، ولا تحتاجين لدمية أخرى»، ثم مدَّ يده ليأخذ الهاتف.

قالت شياويو: «لا. أنا دائمًا ألعب بالألحفة والوسائد، وليس لديَّ أي ألعاب».

فضحكت تشون ني وقالت: «حسنًا، لقد اشتريتهما على أي حال، لذا سأرسلهما إليكِ مغًا!».

فرحت شياويو وقالت: «هذا أفضل، وإلا فسيكون إهدارًا للمال»، ثم أعطت الهاتف لتودو.

أخذ تودو الهاتف، وتحدث مع تشون ني مرة أخرى حول شياويو، وعن الحمار، وضحك الاثنان. ثم حكت تشون ني أشياء عنها في المدينة، وضحك الاثنان مرة أخرى. وبعد الدردشة لفترة طويلة، قال تودو: «حسنًا... حسنًا»، وأغلق الهاتف، فوجد شياويو تحدّق فيه.

نظرت شياويو إلى أخيها بنظرات استغراب، وقالت وهي تمد ذراعيها وترسم وكأن هذه الكلمات يمكن أن تُعانق: «أخي.. ما قالته لك الأخت تشون ني أكثر بكثير مما قالته لي!».

فابتسم تودو قائلًا: «حقًا؟ لكن بغض النظر عن مقدار ما قالته لي، لم أحصل على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حقيبة مدرسية جديدة، أو حتى دمية دب!».

جعدت شياويو أنفها الصغير، ومدّت شفتيها وقالت ممتعضة: «أنتما الاثنان، تحبان بعضكما، أليس كذلك؟».

تفاجأ شياويو وضحك.

- «طالما ضحكت، إذن هذا صحيح».

ثم زادت في إلحاحها: «إذا أحببتما بعضكما، فماذا سأفعل أنا؟».

لم يفهم تودو: «ماذا تعنين؟».

تحولت عيون شياويو إلى اللون الأحمر فجأة، وقالت: «أخي، يجب أن يكون لديك ضمير، لقد قبّلتُك!»، ثم مسحت عينيها بظهر يدها، وانفجرت بالبكاء: «لا بد لي أن أنتظر حتى أكبر لأتزوجك!».

صُدم تودو من كلام شياويو وأراد أن يضحك بشدة، لكنه لم يفعل وجلس القرفصاء وعانق أخته الصغيرة وقال بصوت خافت: «أختي الجميلة، سأظل أخاكِ إلى الأبد، وسأظل أحبك طوال حياتي».

كان تودو يتحدث وهو يبتسم، لكن دون وعي منه، فاضت عيناه بالدموع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل التاسع

وادي الجبل الشمالي

دفع العم سان العربة التي كان يجرها الحمار إلى منزل تودو، ووقف داخل الفناء وصاح: «تودو، أنا لا أحتاج إلى عربة الحمار، أعطاك تشانغ دو فو الحمار، وأنا أعطيك العربة، من الأفضل أن تحصل على الطقم كاملًا».

خرج تودو إلى العم سان راكضًا ونظر إلى العم سان ثم نظر إلى العربة، وقال: «يا عم سان، كيف ستقوم بالأعمال الزراعية في منزلك بدون الحمار والعربة؟».

فضحك العم سان وقال: «تودو، يجب على الإنسان أن يكون طَموحًا. هناك من يظن أنني لن أستطيع العيش بدون الحمار، لذلك لا بد أن أعيش جيدًا من دونه وأريهم».

فقال له تودو: «إذن، إذا احتجت للحمار والعربة، فتعالَ إلى منزلي وخذهما».

ضحك العم سان وقال: «أنا راضٍ لسماعي هذا الكلام منك. أنا الآن لم أعد بحاجة إلى الحمار أو العربة؛ لأنني سأشتري سيارة بأربع عجلات».

وبالفعل خلال وقت قصير اشترى العم سان سيارة بأربع عجلات، وكان كل يوم يتجول بها في القرية، حتي يراها سكان القرية. وتساءل تودو إذا كان قلب تشانغ دو فو يخفق بقوة وساقه تتألم عند سماعه لبوق سيارة العم سان طوال اليوم.

كما كان العم سان يمر بسيارته أحيانًا أمام منزل تودو. وفي كل مرة يمر فيها، يقفز الحمار على الأرض بحوافره الأربعة ويرفع رقبته لينهق، لكن عندما يرى العم سان يقود سيارته بعيدًا، ينظر إلى تودو بحزن، وبعيون دامعة كما لو كان على وشك البكاء.

جاء تودو ليواسي الحمار: «لا تحزن يا حمار، أنت أفضل بكثير من هذا الشيء الغبي الذي يقوده العم سان؛ فهذا الشيء لا يرفس، ولا يرفع رقبته وينهق، ولا يفهم الإنجليزية».

نظر الحمار إلى تودو ورمش بعينه، وكأنه فهم ما قاله تودو، ثم خفض رأسه في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حرج.

بعد فترة طويلة، عندما مرَّ العم سان بسيارته من أمام منزل تودو، أمال الحمار رأسه وتجاهل العم سان تمامًا، كما لو كان يقول في نفسه: «ما الرائع في هذا الشيء! هذا الشيء التالف لا يُقارَن بي».

بدأت المدرسة، وكان الأطفال يأتون كل صباح وينادون شياويو. اعتادت شياويو أن تذهب إلى المدرسة مع تودو كل يوم، لكن تدريجيًا لم تعد تريد الذهاب معه. شاهد تودو أخته شياويو وهي تسير مع أصدقائها في سعادة، وكان سعيدًا من أجلها، لكن في الوقت نفسه يراوده شعور بالفقدان غير مفهوم.

حتى في يومي السبت والأحد، بعد تناول الفطور تركض شياويو إلى الخارج لتلعب مع أصدقائها، أو تأخذ واجباتها المدرسية إلى منزل زميلتها. ولا يتبقى سوى تودو والحمار، وكأن تودو قد عاد إلى فصل الربيع حين كان يعيش مع الحمار فقط. لكن عندما يفكر تودو في هذا الأمر مليًا، يجد أن الأمر يختلف عن ذلك الوقت. ما هو المختلف؟ يشعر تودو أن أكبر اختلاف هو الخوف والقلق، فالآن يساوره شعور بالقلق والخوف.

عادت شياويو من المدرسة وأظهرت لتودو ورقة مرسومًا فيها شجرة كبيرة، ومنزلان، كل منزل به مدخنة، يتصاعد منها الدخان إلى ارتفاعٍ عالٍ وفي اتجاه مختلف عن الآخر. ومكتوب كلمة «منزل» تحت الصورة.

فضحك تودو وسألها: «هل هذا (المنزل) الذي رسمتِه؟».

فأومأت شياويو برأسها وقالت: «نعم، لكن المعلم قال إن هناك خطأ في رسمتي، وطلب مني أن أكتشفه بنفسي».

- «هل تعرفين أين الخطأ؟».

هزَّت شياويو رأسها نافية: «لا».

- «إذن لمَ رسمتِ مدخنتين؟».

- «لأنني اعتقدت أنه بوجود مدخنتين، سيتصاعد الدخان عاليًا وبعيدًا. وسأتمكن من رؤيته كل يوم عند عودتي من المدرسة، وسيراه العديد من الناس أيضًا، وكذلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمي وأبي، ولن يكون الجو باردًا في المنزل».

حدّق تودو في الورقة وتوقّف عن الابتسام. أراد أن يخبر شياويو: «لا يمكن أن يتصاعد الدخان من كل مدخنة في اتجاه مختلف، وهذه مسألة ترتبط باتجاه الرياح»، لكن بعد تفكير، رأى أن هذه المسألة ليست مهمة، وطلب من شياويو أن تخرج لتلعب وترى بنفسها إذا كان الدخان من مدخنة كل منزل يتصاعد في اتجاه مختلف عن الآخر، وجلس هو في المنزل يفكر في مشكلة أخرى وهي الحطب. إذا كان يريد أن يتصاعد دخان من المدخنة، فيجب أن يكون لديه حطب. ليس فقط لئلا تشعر أخته بالجوع، ولكن أيضًا لئلا تشعر بالبرد. فكلما كان المنزل موحشًا ومقفرًا، يجب إيجاد طريقة لجعله أكثر دفئًا، والدفء الذي سينتج عن الحطب، سيمنع البرودة التي تتحدث عنها شياويو.

الحطب، الحطب، الحطب.

إذا امتلكت الحطب، فلن تخاف من البرد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكر تودو في وادي الجبل الشمالي، والذي يُعد مكانًا جيدًا للحصول على الحطب؛ إذ توجد بقع من الشيح في وادي الجبل الشمالي، بالإضافة إلى الأشجار الكبيرة والصغيرة، التي غالبًا ما توجد تحتها الكثير من الأغصان الجافة التي تطايرت وسقطت بفعل الرياح.

في صباح يوم السبت، ساق تودو عربة الحمار إلى الوادي، ليحمل عليها الأغصان، ومع ذلك لم يجد سوى القليل من الأغصان الجافة. في اليوم التالي، بدأ تودو في قطع الشيح بالمنجل.

وما إن أشرقت الشمس ونظر تودو إلى الشيح المقطع، حتى وجده قد تقلّص بمجرد تعرضه للشمس، كما لو كان قلَّ كثيرًا في لحظة، وبالتأكيد لن يحتمل النار بهذا الشكل؛ لذلك شعر تودو بالقلق.

وفي طريق العودة، صادف تودو تشانغ دو فو. في الأعوام القليلة الماضية، تعاقد تشانغ دو فو على الجبال القاحلة في وادي الجبل الشمالي بالمال الذي جناه من بيع التوفو، وزرعها بأشجار الحور، نمت هذه الأشجار بشكل جيد للغاية؛ إذ كان تشانغ دو فو يحمي هذه الأشجار كما لو كان يحمي حياته. وكلما كان لديه وقت، يأتي ليتفقد أشجاره. في هذه اللحظة، كان تشانغ دو فو عائدًا لتوه من الجبل الشمالي، وعلى الرغم من عدم حاجته إلى العكاز الآن، فإنه كان يسير متعرجًا لأن ساقه لم تُشفَ تمامًا. أوقف تودو عربة الحمار ودعا تشانغ دو فو ليركب العربة. فاستدار تشانغ دو فو ونظر إلى تودو، وابتسم، ثم أشار له ليقود عربة الحمار ويسير هو أولًا.

فكّر تودو: ربما تشانغ دو فو يشعر بعدم الارتياح بعد رؤيته للحمار والعربة؛ لذا لم يجبره على الركوب.

ولكن لم يتقدم تودو سوى بضع خطوات قليلة، وصاح تشانغ دو فو مرة أخرى من خلفه: «تودو، مهلًا يا تودو».

فأوقف تودو عربة الحمار وانتظر تشانغ دو فو.

- «تودو، هل أنت من قطع نبات الشيح من الوادي؟».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم يفهم تودو ما يعنيه تشانغ دو فو، فقال: «نعم... ما الأمر؟».

كان تشانغ دو فو قد هرع بالفعل إلى عربة الحمار، فوضع إحدى يديه على العربة ودفع نفسه ليجلس على العربة. وقال لتودو ضاحكًا: «أيها الفتى الغبي، ما كل أوراق الشيح هذه؟ لتدخين البعوض؟ ها ها ها».

يعرف تودو أيضًا أن الدخان الذي يتصاعد عند حرق أوراق الشيح كثيف جدًا وخانق، ويمكن استخدامه كمدخن للبعوض في فصل الصيف. لكن تودو الآن لا يحب أن يسخر تشانغ دو فو منه بهذه الطريقة. حتى إنه لم يلتفت، وأمر حماره بالإسراع.

عندما رأى تشانغ دو فو أن تودو لا يتحدث، أدرك أنه انزعج، لذلك توقف عن الضحك. وبعد وقت قليل، تكلّم بجدية قائلًا: «فصل الشتاء طويل، والجو بارد جدًا. ولا يكفي حرق أوراق الشيح فقط».

لم يقل تودو أي شيء، وفكّر في نفسه: «وهل أنا بحاجة إليك لإخباري بهذا؟ ولكن إذا لم أجمع أوراق الشيح، فهل سأحصل على أشجارك؟».

قال تشانغ دو فو لتودو: «يجب تقليم أغصان أشجار الحور»، ثم اقترب منه وأردف: «إذا ساعدتني في تقليمها، فسأعطيك كل الأغصان التي قلّمتها».

بدا تشانغ دو فو وكأنه قادر على قراءة أفكار الناس، فالتفت تودو وابتسم في وجه تشانغ دو فو.

حين رأى تشانغ دو فو تودو يبتسم له، قال بصوتٍ أعلى: «إذا جفّت هذه الأغصان جيدًا فستعطيك نتيجة مبهرة عند حرقها، وحينها يمكنك صنع الأرز المطهوّ ببطء، والزلابية المسلوقة، وكعك الفاصوليا المطبوخ على البخار، والدجاج المسلوق، وكذلك تسخين القدر وتدفئة الغرفة في وقت قليل، كما يمكن أيضًا استخدام الفحم الساخن المتبقي من حرق الأغصان لطهي البطاطس، وشواء الفلفل».

بينما كان تشانغ دو فو يتحدث بشراهة، استمر في ابتلاع ريقه.

ضحك تودو قائلًا: «حديثك يسيل اللعاب، لكن لمَ أنت على استعداد للسماح لي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بتقليم تلك الأغصان؟ احتفظ بها لنفسك!».

فقال تشانغ دو فو: «يا تودو، لولا عدم قدرتي على التسلُّق عاليًا بسبب ساقي، لما طلبت منك فعل ذلك».

فابتسم تودو سرًا.

هزَّ تشانغ دو فو رأسه وقال: «يا تودو، أنا أنظر أيضًا إلى دورك كطفل، لذلك أجرؤ على ترك هذا الأمر لك. فإذا طلبت من شخص آخر أن يقوم بهذه المهمة، وقلَّم أغصان الشجرة حتى تصير صلعاء، فسوف أموت، ها ها ها».

رأى تودو أن تشانغ دو فو يتحدث بصدق، واعتقد أن كلماته مضحكة، لذلك ضحك معه.

بعد أن عاد تودو إلى المنزل، أراد فجأة أن يُهاتف تشانغ تشون ني. فكل يوم عندما ينظر إلى دمية الدب، يفكر دائمًا في تشانغ تشون ني، فهو يرى أن عيون الدب السوداء وفمه العنيد وملامحه المبتسمة تبدو مثل تشانغ تشون ني. لكنه لم يأخذ زمام المبادرة من قبل ليتصل بتشون ني. حتى عندما أرسلت تشون ني الحقيبة المدرسية والدمية الدب قبل أيام قليلة، طلب تودو من شياويو أن تتصل بتشون ني.

لكن ماذا حدث اليوم؟ هل لأنه التقى بتشانغ دو فو، وعادا معًا وتحدَّثا كثيرًا؟ فكَّر تودو لبرهة، ورأى أنه تحدَّث كثيرًا مع تشانغ دو فو، لكن الحديث لم يدُر حول تشون ني. كان يجدر بهما التحدث عن تشانغ تشون ني ليكون الأمر صحيحًا، لِمَ تجنَّبا الحديث عنها؟ هل لأنه كلما حاولا تجنب الحديث عنها، فشلا في تجنب التفكير بها؟

بالتفكير في هذا، لم يعد تودو يرغب في الاتصال بتشون ني.

وفي المساء، رنَّ هاتف تشون ني، فأمسك تودو بالهاتف، وحملق في شياويو التي كانت على وشك النوم، وأجاب على الهاتف وهو يهمهم بردٍّ غير واضح.

فقالت شياويو المستلقية على الفراش لتودو: «هل هذه الأخت تشون ني؟ إذا كان لديك ما تقوله، فأسرع وقله، لم تهمهم، هكذا ستقلق الأخت تشون ني؟».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سمِعت تشون ني حديث شياويو فقالت وهي تضحك: «يبدو أن الطالبة تُلقِّن المعلم تودو درسًا».

احمرَّ وجه تودو، ولم يعرف ماذا يقول بينما كان يمسك الهاتف.

سحبت شياويو الدب جانبها وقالت: «لن أزعجكما، سوف أنام مع الدب!»، وبعد ذلك، غطت رأسها باللحاف.

سألت تشانغ تشون ني: «هل قابلت والدي في الوادي اليوم؟».

فقال تودو: «نعم، كيف عرفتِ؟».

- «عدت أنت وأبي في عربة الحمار وتجاذبتما أطراف الحديث طَوال الطريق؟».

- «نعم».

- «هل ستساعد والدي في تقليم الأشجار؟».

- «نعم... لكن...».

ضحكت تشون ني مرة أخرى وقالت: «اتصل بي والدي بمجرد عودته مرارًا وتكرارًا، اعتقدت أن هناك مشكلة حدثت في المنزل، لكن عندما سمعته اتضح أن الأمر على هذا النحو».

لم ينطقِ تودو بكلمة؛ لأنه لم يعرف ما تعنيه بعبارة: «اتضح أن الأمر على هذا النحو»، هل أزعجها والدها بالاتصال بها، أم أنها تعتقد أن الأمر لا يستحق الحديث عنه؟

قالت تشون ني: «تودو، بم تفكر؟ لم لا تتحدث؟ أنا بخير، ها ها ها، فقط مشغولة قليلًا. هناك الكثير من الواجبات المدرسية في المدينة، ولأنني جئت إلى المدينة من وقت قصير، هناك بعض الأشياء التي لم أتكيف معها بعد. والآن أنا مشغولة بالواجب المنزلي، وداعًا!».

قال تودو: «حسنًا». وعندما استدار وجد شياويو تُخرج رأسها من اللحاف، وتقول وهي تلهث: «يا إلهي، أنتما تتحدثان منذ فترة طويلة، كنت على وشك الاختناق!».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في كل يوم سبت وأحد، يذهب تودو إلى وادي الجبل الشمالي مع تشانغ دو فو، على عربة الحمار، ويعودان معًا. وكانا يتعاونان بسعادة، لكن لا أحد منهما يذكر تشانغ تشون ني.

كانت أشجار تشانغ دو فو جيدة للغاية، فكل شجرة حور تتمتع بجذع غليظ وسوي ومستقيم، رفع تودو رأسه وتطلّع إلى السماء الزرقاء المكشوفة من بين تيجان الأشجار وقال: «ما أنسب شيء يمكننا صنعه من هذه الأشجار؟».

فقال تشانغ دو فو وهو يهز رأسه: «أيًا كان ما سنصنعه، فسيكون طريًا قليلًا».

قال تودو: «أعتقد أنه من الأفضل صنع عامود للمصباح في رأس السنة الجديدة!».

شعر تشانغ دو فو بالتوتُر وقال: «أيها الفتى الساذَج، لا تفكر في خطة لاستغلال هذه الأشجار!»، ثم نظر حوله مرة أخرى خوفًا من أن يسمع الآخرون، وتابع: «في رأس السنة الجديدة، سأختار شجرة من مكان كثيف الأشجار وأهديها لك لتصنع منها عاموذًا للمصباح. أما الآن فلا تخبر أحدًا بذلك!».

فضحك تودو، ثم وقف على السلم الصغير، وبدأ في تقليم الأغصان بالمنجل والمنشار.

وقف تشانغ دو فو يوجه التعليمات لتودو ليعلمه كيفية استخدام المنجل لتقليم الأغصان بسلاسة، حيث يجب عليه تقليم الغصن إلى الأعلى وليس إلى الأسفل، وعلَّمه أيضًا كيف يستخدم المنشار، حيث يجب نشر الجزء السفلي من الغصن عدة مرات ثم الجزء العلوي؛ هكذا حين يسقط الغصن لن يتمزق لحاء الشجرة.

أعجب تودو بدقة تشانغ دو فو، وبجديته الخاصة في تقليم الأشجار.

بعد ذلك، نزل تودو ليأخذ قسطًا من الراحة، وأثناء استراحته اتصلت تشانغ تشون ني، لكن تودو لم يرد، رغم سماعه لرنين الهاتف في جيب بنطاله وعلمه أنها تشانغ تشون ني، لكنه نظر إلى تشانغ دو فو الذي يجلس بجواره وفكّر ما الذي سيشعر به تشانغ دو فو إذا ردَّ على مكالمة تشانغ تشون ني في هذه اللحظة؟ لذلك ألغى المكالمة بهدوء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن عندما صعد تودو على السلم الصغير ثانية وكان على وشك تقليم الأغصان، رنَّ الهاتف مرة أخرى. فتظاهر بأنه لا يسمع، واستمرَّ في تقليم الأغصان. فقال له تشانغ دو فو: «تودو، رنَّ هاتفك عدة مرات، لماذا لا ترد؟ هل من غير المناسب أن ترد وأنت واقف على السلم؟ إذن انزل ورد على الهاتف!».

أخرج تودو الهاتف من جيب بنطاله ورد قائلًا: «حقًّا؟ هل هاتفي يرن؟ مرحبًا!».

فصرخت تشانغ تشون ني في الطرف الآخر من الهاتف: «تودو! هل تريد أن تقتلني من القلق؟ أنا أرى والدتك ترقص وتغني في الشارع، ماذا أفعل؟».

شعر تودو بدوار: «من؟ والدة من ترقص وتغني في الشارع؟».

- «والدتك، إنها تغني وترقص في الشارع الآن، وهناك جمع كبير من الناس حولها!».

- «تغني وترقص مع مجموعة من كبار السن؟».

- «لا، إنها ليست رقصة الساحة((9))، إنها تغني وترقص وحدها!».

قال تودو: «أمي... هل أصابها الجنون؟!».

فقال تشون ني: «أعتقد ذلك! ماذا أفعل؟».

فجأة عانق تودو الشجرة أمامه، وقال: «يجب أن تراقبيها، سأجد حلًّا على الفور».

كان تشانغ دو فو تحت الشجرة مرعوبًا. وأمسك بالسلم وقال: «تودو، ما الأمر؟ لا تقلق، انزل بحذر ثم تكلم».

تشبث تودو بالشجرة أمامه وهو يقول: «أمي، لقد أصابها الجنون!».

---

(9)() يعد رقص الساحة مشهدًا عاديًا في الصين، ويرقص المسنون في الساحات كنوع من التمرين البدني والحفاظ على الصحة الجيدة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل العاشر

اشتعلت عربة الحمارا

أمي أصابها الجنون.

رافقت تشون ني والدة تودو وعادا إلى القرية. قبل العودة، رفضت والدة تودو أن تركب السيارة، وقاومت بكل قوتها حتى إنها خدشت يدي تشون ني. لم تظهر تشون ني يدها أمام تودو، لكن شياويو رأتها. كانت شياويو تنتظر والدتها في المنزل، لكن من تنتظرها كانت امرأة ذات شعر أشعث وملامح مشدوهة. لم تتعرف شياويو على والدتها، ووقفت بعيدًا، ولم تتجرأ على الاقتراب، فعانقتها تشون ني، حينها رأت شياويو بقع الدم على يدي تشون ني، وقالت لتشون ني: «أختي تشون ني، يداك...».

نظرت تشون ني إلى يدها وقالت: «لا بأس، ستشفى يداي في غضون يومين»، ثم ركعت على ركبتيها ولمست وجه شياويو، وتابعت: «شياويو، يجب أن تنتبهي، فوالدتك مختلفة قليلًا الآن، خاصة عندما تكون مريضة، فانتبهي حتى لا تؤذيك»، فأومأت شياويو برأسها وعانقت تشون ني.

ولمَّا همت تشون ني بالمغادرة، أخفت يديها خلف ظهرها وهي تقول لتودو: «انتبه لنفسك، وإذا حدث أي شيء اتصل بي»، ثم استدارت وركبت السيارة.

جلست والدة تودو في زاوية السرير ملتفةً حول نفسها كالكرة، وكان جسدها يرتجف وهي تقول: «أشعر بالبرد». وكانت هذه أول جملة تنطق بها منذ وصولها.

صعد تودو على السرير ولفَّ لحافًا كبيرًا حول والدته. لكن ظلت والدته تقول: «الجو باردا أشعر بالبرد». كانت دموع تودو على وشك التدفق، فهو لا يدري ما الذي قاسته والدته طوال هذه المدة. بينما وقفت شياويو مستندة إلى الحائط ويدها خلف ظهرها، تحدَّق في والدتها.

بدأت الأم تهدأ تدريجيًا؛ فطلب تودو من شياويو أن تعتني بها إلى أن يطبخ لها القليل من العصيدة، فقد كان الطريق طويلًا من المدينة إلى هنا ولا بد أنها جائعة؛ فوافقت شياويو، وصعد إلى السرير في تردد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أدارت الأم رأسها ورأت الحمار في الفناء، فأشارت بإصبعها إلى الحمار وضحكت عاليًا حتى سالت دموعها.

جلست شياويو على الجانب الآخر من السرير، وعانقت الدب وحدّقت في والدتها، لكن لم تجرؤ على الضحك. ولما تعبت الأم من الضحك، خفضت رأسها وهدأت لبعض الوقت، ثم رفعت رأسها فرأت الدب بين ذراعي شياويو، وراحت تضحك مرة أخرى، وهذه المرة بشكل أقوى.

شعرت شياويو بالخوف ووضعت الدب على السرير، فمدت الأم يدها إلى الدب وقالت: «أعطني إياه!».

دفعت شياويو الدب بحذر شديد إلى والدتها شيئًا فشيئًا.

أمسكت الأم بالدب وعانقته بين ذراعيها خشية أن تنتزعه شياويو.

وقفت شياويو بجانب والدتها، ولم تجرؤ على الاقتراب أو حتى الابتعاد، وراحت تضحك مع والدتها بحذر.

ظلت الأم تضحك لبعض الوقت ثم توقفت فجأة عن الضحك، ورفعت الدب ونظرت إليه، ثم أمسكته من أذنيه بيد، وأخذت تضربه بعنف باليد الأخرى، فصاحت شياويو: «أمي، لا تضربيه!»، ثم اندفعت لتنتزع الدب من بيد يديها، فأمسكت الأم الدب بإحكام، ولم تتركه.

جاء تودو مسرعًا من المطبخ وصاح: «شياويو، لا تنتزعي الدب من والدتك! اتركيه لها!».

حدّق الاثنان في تودو في ذهول. ثم تركت الأم الدب وغطت نفسها باللحاف، وراحت تبكي كطفل تعرض للظلم، وكذلك شعرت شياويو التي نظرت إلى أخيها ثم انفجرت في البكاء.

عادت الأم، وصارت بحاجة إلى شخص يعتني بها، ولم يعد بإمكان تودو الذهاب إلى المدرسة كما كان يفعل من قبل. لذلك ذهب إلى المدرسة ليُنهي إجراءات الانقطاع الاضطراري عن الدراسة. وقف تودو أمام المعلم يعز عليه الانصراف، فنظر إليه المعلم وربّت على كتفه، كما أعطاه بعض الكتب حتى يتمكن من المذاكرة في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنزل، وأخبره أن يأتيَ إلى المدرسة إذا كانت لديه أي أسئلة، كما سمح له أن يأتيَ لأداء الاختبار في موعده. شعر تودو بتحسن طفيف، ثم خرج من المدرسة حاملًا الكتب.

يصير الطقس أكثر برودة، وتستمر أوراق الدردار في التطاير مثل الفراشات.

ذهبت شياويو إلى المدرسة تاركةً تودو ووالدته في المنزل. بسبب الأم ظلَّ تودو في المنزل لا يستطيع الذهاب إلى أي مكان؛ فكان منشغلًا داخل الغرفة وخارجها، وفي الاعتناء بوالدته المتكورة في زاوية السرير.

أشارت والدة تودو فجأة إلى الأوراق المتساقطة خارج النافذة وصرخت: «إنها تثلج، إنها تثلج! أشعر بالبرد».

هرع تودو إلى الغرفة، وغطّى والدته باللحاف جيدًا، وقال لها: «أمي، هذه أوراق الدردار تتساقط، وليس الثلج. لن أترك أمي تشعر بالبرد، حسنًا؟».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الآن أكثر ما يخشاه تودو هو أن تقول والدته: «أشعر البرد»، وأن تقول أخته: «أشعر بالجوع»، وأخيرًا فهم أهمية «الدفء» و«الشبع».

قالت والدته وهي لا تزال تشير إلى الأوراق المتساقطة خارج النافذة: «إنها تُثلج. ما أجمله!».

- «أمي، انتظري، سألتقط أوراق الشجر هذه وأحرقها لتدفئة الغرفة، حتى لا تشعري بالبرد!».

أخذ تودو شوالًا ومكنسة وخرج إلى الفناء ليجمع الأوراق المتراكمة، بينما انكبّت والدته على حافة النافذة تشاهده.

أراد تودو استخدام هذه الأوراق كحطب، وهو يمتلك خبرة سابقة أيضًا؛ عادة لا يحبذ استخدام هذه الأوراق كحطب لطهي الطعام؛ لأنها تحترق ببطء شديد، وبالتالي لا تستطيع تسخين القدر خلال وقت قصير، ومع ذلك فهذه الأوراق جيدة جدًا للتدفئة. فبعد صنع الطعام، يمكن وضع الأوراق الساخنة في حفرة الموقد، وستحترق ببطء مع النار الطفيفة في حفرة الموقد، وهكذا ستدفئ الغرفة لوقت طويل.

وبسبب ما حدث، لم يتمكّن تودو من الذهاب إلى وادي الجبل الشمالي لعدة أيام. لحسن الحظ، قلّم تودو أكثر من نصف أشجار الحور. كان تشانغ دو فو يعرج أحيانًا بمنزل تودو، لكنه لم يدخل المنزل، وكان يقف فقط في الفناء ويتحدث إلى تودو. قال تشانغ دو فو: «سأقلّم أشجار الحور المتبقية على مهل، وسأمنحك كل الأغصان التي قلّمتها. فأنا لدي الكثير من الحطب المتبقي من العام الماضي». وبعد يومين، جاء تشانغ دو فو مجددًا، وقال لتودو: «أوشكت الأغصان أن تجف. سأجمعها من أجلك وأتركها لتجف. وبعد يومين سأحزمها لك»، وبعد بضعة أيام، جاء تشانغ دو فو وقال: «لقد جفّت كل الأغصان، حزمها جميعًا معًا. سآخذ عربة الحمار وأحضر الأغصان لك!»، وبالفعل وجد تودو أغصان الحور مكدسةً بشكل منظم في فناء المنزل.

وبينما تودو يشاهد تشانغ دو فو الذي كان منغمسًا في العمل، شعر بالأسف لكنه لم يعرف ماذا يقول، وبعد قليل من التفكير قال وهو يفرك يديه: «عم تشانغ، أنت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أيضًا شخص جيد».

فهز تشانغ دو فو رأسه وضحك قائلًا: «لا يا تودو، أنت مخطئ. أنا لست شخصًا جيدًا، بل أنت فتى رائع»، وأغمض عينيه نصف إغماضة ونظر إلى السماء وأردف: «ومن يستطيع أن يكون سيئًا، أمام فتى رائع مثلك!».

احمرَّ وجه تودو خجلًا، ولم يتوقع أن تشانغ دو فو يمكنه قول كلام كهذا، وقال: «عم تشانغ، عندما أطبخ جياو تسي أو يخنة الدجاج في المستقبل، سأدعوك بالتأكيد لتناول الطعام!».

فقال تشانغ دو فو: «حسنًا، وسنشوي معها البطاطس والفلفل أيضًا»، وتعالت ضحكات الاثنين.

في المساء، أتى العم سان إلى منزل تودو ويداه خلف ظهره، وحين رأى كومة أغصان الحور في الفناء قال: «هل ساعدك تشانغ دو فو؟ إنه حقًا ذو فائدة!».

نظر تودو إلى العم سان ولم يتفوه بشيء.

قال العم سان: «هذه الأغصان تحترق جيدًا، لكن عليك أن تنتظر قليلًا بعد، حتى تصل البرودة إلى أقصاها ثم تحرق الأغصان. لدي كومتان كبيرتان من قش الذرة في الجبل الجنوبي، اذهب متى شئت وخذهما!».

أنهى العم سان كلامه ثم خرج من الفناء ويداه خلف ظهره.

وبالفعل، جهَّز تودو عربة الحمار يوم الأحد، ليذهب إلى الجبل الجنوبي، ويأخذ بعضًا من قش الذرة. فقد كان العم سان على حق، فلا يجب حرق هذه الأغصان الآن، فما زال الشتاء طويلًا وسيشتد برودة أيضًا. ولمَّا هم تودو بالمغادرة لحقته شياويو وقالت: «أخي، أريد أن أذهب معك أيضًا، لقد ركبت فوق الحمار من قبل، لكنني لم أركب عربة الحمار بعد».

فأوقف تودو عربة الحمار وقال: «عليكِ أن تمكثي في المنزل لتعتني بأمي. إذا جئتِ معي، فمن سيعتني بأمك؟».

قالت شياويو: «إذن سنأخذها معنا، هي أيضًا لم تركب عربة الحمار من قبل».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكّر تودو في الأمر، ووجد أن أمه ظلت حبيسة المنزل لعدة أيام، ويجب أن يُخرجها حتى تروّح عن نفسها؛ لذلك عاد إلى المنزل وساعد والدته على ارتداء المعطف، وترك شياويو تقودها إلى عربة الحمار.

يزرع العم سان الكثير من الذرة كل عام، لذلك يوجد الكثير من سيقان الذرة، وقد أبقى العم سان كومتين كبيرتين من قش الذرة في الجبل الجنوبي، إذ لا ينبغي تخزين الكثير من الحطب في القرية، خوفًا من نشوب حريق؛ لذلك فإن حطب العم سان متكدس في الجبل الجنوبي.

جلست الأم على عربة الحمار وكانت متحمسة للغاية، تنظر حولها، كما لو كان كل شيء حولها جديدًا. وجلست شياويو القرفصاء، لتحمي والدتها بكلتا يديها، خوفًا من أن تسقط.

قاد تودو عربة الحمار، وكان يبذل كل جهده ليجعل حركة سيرها سلسة ومستقرة؛ فكلما سار على أرض وعرة، وترنحت عربة الحمار، تضحك أمه وتصرخ وكأن أحدًا يدغدغها.

وضع تودو سيقان الذرة على عربة الحمار وربطها بحبل كبير. بينما وقفت الأم وشياويو يشاهدانه بهدوء خلف العربة.

وما إن تحركت عربة الحمار حتى خافت الأم وتشبثت بسيقان الذرة على العربة بكلتا يديها، وصعدت فوق العربة.

فصاحت شياويو في تودو، الذي كان يقود الحمار في المقدمة: «أخي، أخي، أمي ستركب العربة!».

أوقف تودو عربة الحمار في الحال، واستدار فوجد أمه قد ركبت العربة بالفعل، وتمسك الحبل بكلتا يديها، ويبدو من هذه الهيئة أنها لن تنزل.

هز تودو رأسه وقال لشياويو: «لقد ظننت أنكما ستركبان العربة في الطريق إلى هنا، لكن لم يخطر ببالي أن أمي ستريد أن تركب العربة في طريق العودة أيضًا. إذن اصعدي أنتِ أيضًا وانتبهي لوالدتنا»، فأمسكت شياويو الحبل أيضًا وركبت عربة الحطب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم تكن حمولة العربة ثقيلة، لكن مع ذلك، لم يجرؤ تودو أن يغفل لو للحظة، وكان حذرًا في قيادته للعربة، ومن حين لآخر يصيح لأخته: «انتبهي إلى أمنا».

وبعد دخول القرية، كان تودو يتصبب عرقًا بالفعل. وبالكاد فكر أن يطلب من شياويو أن تصمد قليلًا بعد، لكن شياويو صرخت في وجهه: «أخي، أخي، أمي أشعلت الولاعة!».

ذُعر تودو وصاح على الفور: «لا تدعي أمي تشعل النار! لا يمكن إشعال النار فوق عربة الحطب!»، قال ذلك وهو لا يفهم متى أخذت أمه الولاعة.

- «لا أستطيع السيطرة على أمنا، لقد أشعلت الولاعة يا أخي! واشتعلت النار في الحطب».

أوقف تودو العربة في الحال، وما إن استدار حتى رأى الدخان يتصاعد من سيقان الذرة، وألسنة اللهب تزداد، فأمسك بلجام الحمار، وقفز فوق العربة، ثم حمل أمه بذراع وأخته بالذراع الأخرى، وقفز بهما على الأرض.

شعر الحمار أيضًا أن هناك شيئًا خطأ، فالتفت ونظر وراءه، فرأى النار مشتعلة في العربة، فراح ينهق وهو يركض بأقصى سرعته، وفي الوقت نفسه يرفس بساقيه الخلفية في العربة المشتعلة.

اطمأن تودو أن أمه وشياويو بخير، فقال لشياويو: «انتبهي لأمنا»، ثم أسرع ليلحق بالحمار.

ومن شدة خوفها جلست الأم على الأرض، وأشارت إلى العربة: «حريق، العربة تحترق».

عانقت شياويو ذراع والدتها: «أمي، اهدئي».

قالت الأم: «العربة تحترق، أنا خائفة».

لمست شياويو وجه والدتها بيديها الصغيرتين، تمامًا مثلما يفعل تودو معها، وقالت بنبرة لطيفة جدًا: «أمي، لا تخافي، ذهب أخي ليلحق بعربة الحمار. وسيعود ليأخذنا ونعود للمنزل قريبًا».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ازدادت سرعة عربة الحمار، واشتدّ الحريق أكثر.

خرج سكان القرية من منازلهم، كلٌ يقف أمام بوابة منزله يحرس فناءه لئلا يدخل الحمار الذي يجر العربة المشتعلة.

مرّت العربة المشتعلة بمنزل العم سان ومنزل تشانغ دو فو، فخرج العم سان ممسكًا بعصا خشبية وطارد الحمار، وبينما يطارده صرخ في الناس: «أنتم يا من تقفون في المقدمة، أسرعوا وقودوا الحمار إلى البركة».

نبّهت الكلمات الآتية من الخلف الناس الذين يقفون في المقدمة، وبالفعل حملوا أدواتهم وقطعوا الطريق على الحمار. وعلى الفور سقط الحمار بالعربة المشتعلة في البركة الموجودة في مقدمة القرية.

صنع الحمار ثقبًا كبيرًا في طبقة الجليد الرقيقة التي كانت قد تشكّلت على سطح البركة، اطفأت المياه العربة المشتعلة، وتصاعد الدخان الأسود من سيقان الذرة التي طفت على سطح المياه، في حين قاوم الحمار وظلّ يلهث ليرفع وجهه فوق المياه.

ركض تودو وهو يتصبب عرقًا بغزارة، وجلس على جانب البركة، وأشار إلى الحمار وقال: «يا حمار، أنت رائع! عليك أن تصمد قليلًا، سأجد شخصًا ينقذك».

قاد العم سان سيارته ذات الأربع عجلات إلى البركة محضرًا معه حبلًا معدنيًا، وبعد أن وصل نزل منها وربط أحد طرفي الحبل في مقدمة السيارة والطرف الآخر في عربة الحمار، ثم ركب السيارة وسار بها ببطء إلى الخلف حتى سحب العربة والحمار خارج البركة.

ووسط الحشد الكبير الذي تجمّع لمشاهدة هذا الموقف المثير، ثم نزل العم سان من سيارته وسار وهو يشبك يديه خلف ظهره باتجاه الحمار وقال: «ما زال هذا الحمار مذهلًا، عندما صرخت: (البركة في مقدمة القرية)، ركض وقفز في البركة».

لم يقتنع الأشخاص الذين قطعوا الطريق أمام عربة الحمار للتو، وقال أحدهم ليغضب العم سان: «بغض النظر عن مدى قوة هذا الحمار، فهو لم يعد ملكك»، سكت العم سان على مضض، وحين رأى تشانغ دو فو أيضًا بين الحشد، تذكر أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تشانغ دو فو أهدى الحمار إلى تودو، لكن تشانغ دو فو لم يقل شيئًا، فماذا يمكن للعم سان أن يقول؟

خفض العم سان رأسه ونظر إلى عربة الحمار وقال: «عربة الحمار هذه متينة حقًا، لم تحترق بهذه النيران!»، ثم أزاح سيقان الذرة السوداء على العربة جانبًا وأردف: «انظروا، لم تحترق العربة على الإطلاق!».

وقال شخص يقف بجانبه، بصوت يحمل نبرة استفزاز: «يا عم سان، هل عربة سيقان الذرة ملك لك؟ هل المهم أن الحطب تسبب في الحادث، أم أن عربتك متينة؟»؛ فضحك الجميع، عدا تودو لم يجد الأمر مضحكًا، ومشى غاضبًا، وقاد عربة الحمار، وعاد لاصطحاب والدته وشياويو.

في اليوم التالي، قاد العم سان سيارته على الرغم من تساقط الثلوج، وذهب إلى الجبل الجنوبي، ليحضر سيقان الذرة، ومنحها لتودو.

فقال تودو في حرج: «لقد أهدرت حمولة عربة من الحطب بالأمس يا عم سان».

قال العم سان: «وما المشكلة؟ إذا احترق الحطب فما زال هناك الكثير منه، لحسن الحظ لم تحدث كارثة كبيرة».

اقتنع تودو بكلام العم سان، مجرد التفكير في موقف الأمس يثير الخوف؛ فابتسم تودو للعم سان وأومأ برأسه.

قال العم سان: «اعتنِ بأمك جيدًا يا تودو، ولا تقلق من عدم وجود الحطب»، ثم قاد سيارته وغادر.

وحالما غادر العم سان، جاء تشانغ دو فو ودخل إلى فناء منزل تودو، واضعًا يديه داخل أكمامه، فقد كان يرتدي ملابس محشوة بالقطن والجو قارس البرودة.

لم يرغب تشانغ دو فو أن يدخل المنزل، لذا وقف يتحدث مع تودو في الفناء: «هل كنت على اتصال مع المدينة هذه الأيام؟».

كان تودو منشغلًا بالعناية بمنزله ووالدته خلال هذا الوقت، ولم يتواصل مع تشون ني لعدة أيام. هزَّ تودو رأسه نافيًا وقال: «عم تشانغ، نحن أيضًا لم نتواصل منذ فترة طويلة. هل هناك خطب ما؟».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تنهد تشانغ دو فو وقال: «لا شيء في الواقع، لكنها لم تهاتفني مؤخرًا، وسيحل العم الجديد، ولا أعرف متى ستعود».

سقطت طبقة رقيقة من الثلج على الأرض، واكتست الأشجار وسقوف المنازل بالثلج. وامتدت آثار أقدام تشانغ دو فو المعوجة من بوابة الفناء إلى الخارج.

رفع تودو رأسه، ونظر إلى رقاقات الثلج التي لا تزال تطفو في السماء، وقال في هدوء: «العام الجديد يقترب؟»، ثم فكّر قليلًا وقال: «هذه الحياة، كيف نعيشها رغم إرادتنا؟».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الحادي عشر

مصباح تودو الأحمر

تشبه هذه الحياة حمارًا يجر طاحونة ويسير في دائرة.

ومع دخول الشهر القمري الثاني عشر، ازداد تساقط الثلوج بغتة، وحجبت الثلوج الكثيفة والثلوج الرقيقة السماء وغطت الأرض. وكلما ازداد تساقط الثلج، قوي مذاق الشتاء، وانتشرت روح العام الجديد داخل القرية أيضًا.

كان يوم السبت عطلة لشياويو؛ لذلك طلب تودو منها أن تعتني بأمها في المنزل، وذهب إلى المدينة. وعندما عاد اشترى لأمه وشياويو هدايا العام الجديد، حيث اشترى لشياويو سترة حمراء وزوجًا من الأحذية، صنعت في منغوليا، ذات لون بني وساق طويلة، واشترى لأمه بنطالًا مصنوعًا من وبر الجمل، وحذاء محشوًا بالقطن، ولم يشتر شيئًا لنفسه.

بعد أن ارتدت شياويو السترة الجديدة والحذاء الجديد، لم تتحمل البقاء في
Telegram:@mbooks90
المنزل، وأرادت أن تلعب في الخارج، في الحقيقة أرادت أن تتباهى بملابسها وحذائها الجديد. فلوَّح لها تشين تودو ليسمح لها بالخروج للعب.

ساعد تودو أمه في تجربة البنطال الجديد، وبينما يساعدها قال لها: «أمي، أريد أن أخبرك بشيء ما منذ فترة طويلة، لا أعرف إذا كنتِ ستفهمينني أم لا، لكنني سأخبرك على أي حال. في الحقيقة، لقد ذهبت إلى المدينة هذه المرة لأرى أبي».

خفضت الأم رأسها وعبثت في وبر الجمل المصنوع منه البنطال، ولم تجِب.

تابع تودو: «تعامل أبي مع الأمور في موقع البناء، لكنه مريض الآن وفي المستشفى. قال إنه ليس لديه وجه ليعود إلى المنزل ويريد أن يموت في المستشفى. لقد رأيته سرًا مرتين خلال هذه الفترة».

ما زالت والدة تودو لا تجيب.

فتابع تودو: «أمي، ألم تظني أن أبي لا يريد العودة إلى المنزل؟ لكن الأمر ليس كذلك الآن، فهو الآن في المستشفى ينتظر الموت. أنا أود أن أحضره إلى المنزل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليقضيَ معنا العام الجديد، ما رأيك؟».

نظرت الأم إلى البنطال الجديد الذي ترتديه، ولم تقل شيئًا.

- «أمي، أعلم أنكِ فهمتِ كل ما قلته. أليس كذلك؟».

ثم جلس تودو القرفصاء وساعد أمه في تجربة الحذاء الجديد.

خلعت الأم حذاءها، وغطّت وجهها بيديها، وبدأت في البكاء!

ذهب تودو إلى المدينة وأحضر والده تشن شوي كو إلى المنزل.

تغير تشن شوي كو كثيرًا، وصار نحيفًا للغاية، وسنده تودو ودخلا إلى المنزل. هرعت الأم في الحال ورفعت يديها وأرادت أن تخدش تشن شوي كو، فأفلته تودو وعانق أمه قائلًا لها: «أمي، ألم نتفق؟ أبي مريض، وهذه المرة لن يرحل، حقًا، انظري إليه، إنه يخلع حذاءه ويصعد على السرير».

كما قال تودو، خلع تشن شوي كو حذاءه وصعد على السرير.

سمحت الأم لشوي كو أن يجلس في مقدمة السرير، بينما جلست هي في نهايته وظلت تنظر إليه. نهض شوي كو ليدخل المرحاض، فنهضت هي الأخرى وارتدت حذاءها ورافقته. في وقت لاحق، كان شوي كو متعبًا جدًا، لذا غطّ في النوم، وظلّت والدة تودو تحدّق فيه مليًا، ثم غطّت وجهها وراحت تبكي.

بعد يومين، عندما حان وقت الغداء، قالت الأم لتودو: «يبدو أن والدك جائع، سأذهب لأطبخ له بعض الطعام».

فتدفقت دموع تودو، وقال: «أمي، أنتِ بخير؟»، وتبع والدته إلى المطبخ.

انشغلت الأم في المطبخ للحظات، ثم التفتت إلى تودو وقالت له: «تودو، أنا بخير، ويمكنني أن أطبخ لكم».

فعانق تودو والدته وانفجر بالبكاء.

فقد تجنب تودو الكثير من المتاعب، وواصل مذاكرة دروسه متى كان لديه الوقت، وأحيانًا كان يتحدث مع والده أيضًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخرج تشن شوي كو حقيبة جلدية سوداء، ودعا تودو ليجلس بجانبه، ثم قال له: «تودو، جميع أموالي في هذه الحقيبة، لا أريد إهدار المال على مرضي بعد الآن».

لم يرغب تودو في سماع هذا الحديث من والده وقال: «أبي، طالما لست مصابًا بمرض في القلب، فأي مرض آخر يمكن علاجه».

نظر شوي كو إلى تودو وقال له: «أظن أن هذا المال سيكفيكم لفترة من الوقت».

فقال تودو وهو يحدق في وجه والده: «أبي، إذا لديك أموال إضافية، فقم بسداد المال الذي تدين به للآخرين!».

أدار شوي كو وجهه إلى الجانب الآخر وقال: «لست وحدي مدينًا للآخرين».

فقال تودو: «إذن سدد الجزء الذي تدين به! يعيش الناس حياة صعبة. إذا لم تدفع المال، فسأسدده أنا عوضًا عنك في المستقبل!».

أدار شوي كو رأسه وحدَّق في تودو كما لو أنه لم يعد يعرفه.

قال تودو: «لقد حسبت جيدًا كم المال الذي تدين به لأهل القرية خلال العام الماضي. لا يمكن أن نسمح للآخرين أن يلعنونا من وراء ظهورنا، فهذا متعب».

شعر شوي كو أنه قلَّل من شأن تودو سابقًا.

في صباح اليوم التالي، بعد تناول الفطور، خرج تودو ليكنس الفناء، فقد كساه الثلج الذي تساقط طيلة الليل. وبينما يكنس، رأى مجموعة من الأطفال على جانب الطريق مشغولين في صنع رجل الثلج. وبعد أن أنهى تودو عمله، سار إلى وادي الجبل الشمالي، ورأى شياويو تلعب مع هؤلاء الأطفال، فتجاهلها وأكمل سيره. أخذت شياويو عطلة الشتاء للتو، لذلك فقدت صوابها وتلعب طَوال الوقت، وقرر تودو أن يساعدها في أداء واجباتها المدرسية بعد عدة أيام.

رأت شياويو أخاها فطاردته وصاحت قائلة: «أخي، أين تذهب؟ إن رجل الثلج الذي صنعوه قبيح جدًا».

فضحك تودو وقال: «لم يمتدح أحد منهم ثيابك الجديدة، أليس كذلك؟».

يبدو أن أفكار شياويو فُضحت، لذلك انزعجت شياويو ورفعت قبضة يدها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لتضرب تودو لكنها تعثرت ووقعت في الثلج.

بعد أن ساعدها تودو على الوقوف، قال لها: «هيا اذهبي والعبي معهم، أنا سأذهب إلى وادي الجبل الشمالي».

- «لماذا؟».

- «سأذهب لألقيَ نظرة على الأشجار».

قالت شياويو في فضول: «ستذهب لرؤية الأشجار؟ هل هي جميلة؟».

قال تودو: «سأذهب لأرى كيف تبدو الأشجار وسط الثلوج، وهل تبكي من البرد أم لا».

- «سأذهب أنا أيضًا».

فقال تودو: «المكان بعيد عن هنا، وطبقة الثلج على الأرض سميكة، ولن أحملك».

فقالت شياويو: «لست بحاجة لأن تحملني، أستطيع أن أسير بمفردي».

قال تودو وهو يسير إلى الأمام، وشياويو تتبعه: «لقد قلتِ ذلك بنفسك».

وبعد أن خرجا من القرية، كانت طبقات الثلج على الأرض تزداد سمكًا كلما اقتربا من وادي الجبل الشمالي.

سارت شياويو خلف تودو، تدوس على آثار أقدامه المحفورة في طبقة الثلج، ولم تتوقف عن الصياح: «أخي، تمهل قليلًا، لا أستطيع اللحاق بك. أخي، متى سنصل؟».

لم يتحمل تودو صياح أخته، فأبطأ خطواته، لكن شياويو لم تكفَّ عن الكلام، فتعثرت ووقعت في الثلج، وصاحت: «أخي، تعالَ وأنقذني!»، وأصرت أن تنتظر أخاها لينقذها، فاستدار تودو وساعدها على الوقوف وأزال الثلج من عليها، ثم أكمل سيره، وبينما يسير قال لشياويو: «سأروي لكِ قصة جميلة. منذ زمن بعيد، كانت هناك فتاة أجنبية تدعى بيبي الشقية، كان والدها قبطانًا، وكانت بيبي تتمتع بقوى جسدية خارقة، إذ تستطيع تعليق كل الأولاد الذين يتنمرون عليها على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشجرة، كما تستطيع الإلقاء بالشرطة وأسماك القرش بعيدًا!».

- «أخي، تكلم ببطء، وبصوت أعلى! انظر لقد لحقت بك ولم أتعثر!».

- «حسنًا! سأكمل القصة. كانت بيبي أيضًا تربي حصانًا في شرفة منزلها الأمامية. كانت كلما أرادت احتساء القهوة في الشرفة الأمامية بعد الظهر، ترفع الحصان بيدها وتضعه في الفناء!».

هتفت شياويو من الخلف: «رائع!».

توقف تودو عن الكلام، ونظر إلى شياويو.

قالت شياويو: «أخي، سأتدرب عندما نعود إلى المنزل».

- «تتدربين على ماذا؟».

- «على رفع الحصان».

- «نحن لا نمتلك حصانًا».

- «لكن لدينا حمار».

فزع تودو مما سمعه، وظل محدقًا بشياويو، ولم يتفوه بكلمة.

فضحكت شياويو قائلة: «أمزح معك يا أخي، ما زلت أخاف أن يرفسني الحمار»، وانفجرت في الضحك حتى كاد صوت ضحكاتها يهز الثلج على قمم الأشجار.

وقفت أشجار الحور بشكل مرتب في وادي الجبل الشمالي. قاد تودو شياويو حول الأشجار، وبعد أن سارا أكثر من نصف الدائرة، تنهدت شياويو قائلة: «أخي، ما الجيد في هذه الأشجار، إنها مملة».

فالتفت تودو إليها وقال: «شياويو، لا يصح أن تتحدثي بهذه الطريقة. تشانغ دو فو، أقصد العم تشانغ، قال لي سابقًا إنني إذا نظرت إلى هذه الأشجار بشكل جيد، فستنظر الأشجار إليّ بشكل جيد أيضًا».

توقّفت شياويو عن الكلام، وتبعت أخاها في صمت، ولم ترغب في النظر إلى الأشجار.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خطا تودو بضع خطوات أخرى، ثم استدار وقال لها: «تعالي، سأحملك على ظهري لبعض الوقت!»؛ ففرحت شياويو للغاية، وعلى الفور قفزت فوق ظهر تودو ولم تنتظر أن يحنيه.

عندما وصل تودو وشياويو إلى المنزل، كانت الأم قد أعدّت الطعام بالفعل. وكان البخار يملأ المطبخ، وأطباق الطعام جاهزة فوق المنضدة، من بينها طبق كعك الفاصولياء الذهبية التي غرفت للتو من القدر، وطبق قطع البطاطس الحارة، وطبق المخلل.

وحالما دخلت شياويو المنزل، صاحت: «يا إلهي، أنا متعبة جدًا، وأتضوَّر جوعًا»، فأشارت لها والدتها أن تخفض صوتها لأن والدها ما زال نائمًا.

لكن شياويو أيقظت والدها واقتربت منه وحكت له ما حدث: «أبي، إن طبقة الثلج عميقة جدًا، لقد سقطت فيها عدة مرات. وأشجار تشانغ دو فو تلك تقف بشكل مستقيم ومنظم. لقد نظرت إليها بشكل جيد، ونظرت لي بشكل جيد أيضًا. لقد مررنا بجانبهم مثل العرض العسكري تمامًا».

رفع شوي كو رأسه ونظر إلى تودو وسأله: «لمَ ذهبتما إلى غابة تشانغ دو فو؟».

نظر تودو إلى شياويو بطرف عينيه، ثم نظر إلى والده وقال: «ساق تشانغ دو فو ليست بخير؛ لذا سمح لي بمساعدته في العناية بأشجار الحور لأنه يخشى أن يسرقها أحدهم».

فكَّر شوي كو قليلًا ثم قال: «سمعتك تذكر اسم تشانغ دو فو عدة مرات خلال هذين اليومين. لا يمكننا أن نحصل على حماره بدون مقابل، إذا كنتما تحبان الحمار، فسنشتريه».

ابتسم تودو بقوة، فهذه أكثر جملة مؤثرة وملهمة سمعها منذ فترة.

ذهب تودو بعد تناول طعامه إلى تشانغ دو فو. فلم يدعه دو فو يغادر فناء المنزل حتى قال له: «لقد رأيتك عائدًا مع شياويو من وادي الجبل الشمالي، وقلت لنفسي إنه في حالة أن أشجاري قد أصابها مكروه، حينها كنت ستهرع إليَّ لتخبرني، لكنك لم تهرع إليَّ، إذن فهي بخير!».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فنظر تودو إلى تشانغ دو فو وابتسم.

فأكمل دو فو حديثه: «ما إن ابتسمت فهمت ما تريده! سأوفي بذلك الوعد الذي قطعته لك في الخريف يا تودو!».

فاختفت الابتسامة من على وجه تودو وردَّ على دو فو قائلًا: «أي وعد يا عم تشانغ؟».

- «أن أهدي إليك عامود المصباح! لقد لاحظت منذ مدة أنك تبذل جهدك لتجعل يوم رأس السنة هذا العام مميزًا».

فتبسَّم تودو قائلًا: «وكأنك قرأت ما يجول بخاطري يا عم تشانغ!».

- «أنا أؤيد فكرتك، فالاحتفال بيوم رأس السنة يجعله بادرة لسنة جديدة سعيدة! لقد اخترت لك العامود بالفعل... اخترته من الجانب الشرقي لغابة أشجار الحور، وعددت تسعة صفوف إلى الجنوب، ثم عددت حتى الشجرة التاسعة والثلاثين التي تجاور الشجرة التي بنى عليها طائر العقعق عُشَّه».

قال تودو مندهشًا: «هل فعلت ذلك حقًّا يا عم تشانغ؟!».

فابتسم تشانغ دو فو وأجابه: «تلك الشجرة هي الأقصر من بين كل ما حولها، ولم تكبر منذ فترة؛ لذلك فهي الأنسب لصنع عامود المصباح!»، ثم لوَّح بيده لتودو قائلًا: «أنا أعلم أنك قلق، هيا اذهب بسرعة!».

فابتسم تودو ثم انحنى ليُحَيِّي العم دو فو قائلًا: «كل عام وأنت بخير مقدمًا يا عم دو فو»، ثم استدار وركض عائدًا إلى المنزل.

حمل تودو فأسه ومنشاره، ثم خرج من منزله وهو يفكر في أنه قد سمع أحدًا يقول من قبل إن تلك الأشجار تمتلئ من الداخل بالطين في الشتاء وتصير ثقيلة جدًا، فكيف سيُحضرها إلى المنزل؟

عندما رأت شياويو تودو حاملًا أدواته، ركضت نحوه وصاحت: «هل ستصنع لي عربة الجليد يا أخي؟». وكانت شياويو قد طلبت منه عدة مرات أن يصنع لها عربة التزلج على الجليد، لكن ما يشغل باله الآن ليس العربة، لذلك ردَّ عليها: «حسنًا حسنًا، فلتنتظري قليلًا بعد»، لكن شياويو لم ترد أن تنتظر بل أرادت أن تذهب معه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فرفع تودو أدواته وقال لها: «أنا ذاهب لأقطع شجرة، وهذا ليس مزاحًا، فإذا انكسر الجليد ووقعتِ بداخله فلن أستطيع إخراجك حتى يحل الربيع ويذوب الجليد!».

شعرت شياويو بالحيرة قليلًا، لكنها لم تخف، وصاحت في حماس: «هل ستذهب حقًا لتقطع شجرة يا أخي؟ هل ستصنع لي عربة جليد ضخمة في حجم الشجرة؟»، وفتحت ذراعيها لتمثل حجم الشجرة.

فردَّ تودو: «نعم نعم».

وفجأة أوحت له أخته بفكرة دون قصد، وهي أن يقطع الشجرة ثم يقطع أغصانها، ويسحبها خلفه كعربة الجليد!

شعر تودو بالامتنان تجاه أخته، وأراد بشدة أن يخبرها عن أمر عامود المصباح، لكن فجأة ظهر العم سان سائقًا سيارته، وكان حينها عائدًا من خارج القرية، وعندما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رأى تودو حاملًا فأسه ومنشاره توقَّف وسأله: «إلى أين تذهب يا تودو؟».

اقترب تودو من السيارة وأجاب: «أريدك أن توصلني بسيارتك إلى وادي الجبل الشمالي؛ فأنا أخشى لو تساقط الثلج بغزارة أن تغرس عربة الحمار في الثلج».

كانت شياويو تحاول الاستماع إليه طَوال ذلك الوقت، لكن صوت سيارة العم سان كان صاخبًا للغاية، فلم تستطع أن تسمع إلا كلمة «وادي الجبل الشمالي» و«أقطع الشجرة» و«أسحب الشجرة»، ولم تسمع أي كلمة عن صنع عربة الجليد خاصتها. فصاحت في تودو قائلة: «إذن سأخبر العم دو فو أنك ستقطع شجرته!».

حينها كان تودو قد صعد بالفعل إلى سيارة العم سان، وظل يحدِّث نفسه بأن هذه المرة مختلفة عن السابق، فهو ذاهب ليقطع شجرة وهناك خطورة بالأمر، ولا يمكن أن تسير الأمور دائمًا على هوى شياويو، فأشار لها بيده أن تعود إلى المنزل، وبدأت سيارة العم سان تصدر صوتها الصاخب لتتحرك.

وظلَّت شياويو تضرب الأرض بقدميها وتصيح غاضبة: «انتظر يا تودو! انتظر يا كريه الرائحة! انتظرني!». وهذه هي المرة الأولى التي لم تهتم فيها شياويو بأن تودو هو أخاها الأكبر، وظلت تنعته بـ «كريه الرائحة» من شدة غضبها.

وعندما عادت سيارة العم سان لنغ ساحبةً «عامود المصباح» خلفها، كانت شياويو لا تزال واقفة عند الباب، وتشانغ دو فو أيضًا ينتظر ويضع يديه داخل كميه. علمت شياويو ما سيفعله تودو بالشجرة التي قطعها، وظلَّت ترقص من الفرحة بلا توقف، وقد نسِيَت أمر عربة الجليد، فكان أمر المصباح كفيلًا بأن يشغلها لفترة. وعندما رأى تودو أهل القرية مجتمعين احمرَّ وجهه، وشعر بالفخر لأنه قد أنجز أمرًا مهمًا كهذا.

وفي ليلة رأس السنة، تساقطت ثلوج خفيفة من السماء، وتتابع صوت فرقعة الألعاب النارية بالقرية، واختلط دخان طهي الطعام مع دخان الألعاب النارية وتصاعدا معًا إلى السماء.

وأعدَّت الأم الفطائر المحشوة للأسرة، ونهض الأب ليُصلح جرس الحمار ولم يرقد على السرير قط. وثبَّت تودو عامود المصباح، وكانت قمة العامود شجرة مزهرة، كما علقت شياويو الكثير من أوراق الزينة الملونة فوقه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم جلبت مصباحا أحمرَ كبيرًا من الغرفة لتعلقه في العامود، وكانوا قد حضَّروا حبلًا طويلًا من أجله، فربط تودو أحد طرفي الحبل بالمصباح، وأمسك بالطرف الآخر وأخذ يشده شيئًا فشيئًا، فظلَّ المصباح يرتفع ببطء إلى قمة العامود. وجاء كل أطفال القرية مسرعين، وخرج الأب والأم أيضًا وظلَّ الجميع رافعين رؤوسهم لمشاهدته.

وبدأت ندفات الثلج تتراقص حول المصباح، وظلَّ تودو وشياويو ينظران إلى المصباح حتى ارتفع إلى قمة العامود. ثم لفَّ تودو طرف الحبل على العامود عدة مرات.

فنظرت شياويو إلى أخيها وهمست له: «هذا العام عامود مصباحنا هو الأطول من بين كل أعمدة القرية يا أخي!».

فاستدار تودو وقال لها: «نعم»، ثم نظر إلى الناحية الأخرى ثانيةً، ليرى فتاة بفستان أحمر، ترتدي نظارة شمس، وتمسك بيدها هاتفًا خلويًا، وتتجه نحوهم وهي تلتقط لهم بعض الصور.

فقال تودو لشياويو: «من هذه الفتاة الجميلة يا شياويو؟».

فقفزت شياويو نحوها بسرعة وصاحت: «أختي تشون ني! هل أتيتِ لتقضي معنا عيد رأس السنة؟ هذا رائع!».

وظل المصباح الأحمر يهتز متراقصًا بين ندفات الثلج، وينثر ضوءه الأحمر على وجوه الجميع. وتعالت أصوات الألعاب النارية وضحك الأطفال، وظلَّ الحمار يهزُّ رقبته ويرفعها ليصدر صوت الجرس وينضم إلى صفوف الضحك.

يقترب فصل الربيع شيئًا فشيئًا من مكان ليس ببعيد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بطاقة القرّاء

نشأة تودو

تودو فتًى ريفي مراهق يتسم بالذكاء وطيبة القلب والبراءة، يبدو كأصدقائنا، فقد نشأ معنا بطريقة حقيقية وطبيعية، واجتاز اختبارات الحياة معنا.

لقد بذل تودو قُصارَى جهده ليعيش حياته بأسلوب لطيف ومبهج، ولم يتخلَّ أبدًا عن والده المريض وأمه المجنونة وأخته الصغيرة، بل أخذ على عاتقه مسؤولية العناية بهم كرجل ناضج، بكل صبر ومثابرة، ومنح أسرته الحب والاهتمام. كما عامل جيرانه بصدق وصراحة، وكان لطيفًا مع الآخرين، وأشاد جميع الجيران به، معتقدين أنه فتًى جيد وموثوق به ومتواضع. حتى إنه لم يتخلَّ عن الحمار تشن حتى النهاية، واهتم به مثل عائلته، فسمح له أن يختلس السعادة، و«يرفس» كما يشاء ويركض بحرية.

تودو العنيد، المثابر والشجاع، اللطيف والصادق.. دعونا نتبع نص المؤلف النابض بالحياة والدقيق لنقترب أكثر من نشأة تودو، ونشعر بالشخصيات الحية في الكتاب، ونقرأ القصة التي تهز أوتار القلوب!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الريف الجميل

بعد أن عشنا في غابة المدينة الفولاذية، صرنا نتوق إلى راحة البال والاسترخاء والهدوء الذي ننعم به في الريف، بالإضافة إلى الاستمتاع بالمناظر الطبيعية الخلابة. كان المؤلف مثل رسام بارز استخدم الكلمات كفرشاة لرسم جمال الريف النقي في الفصول الأربعة. فرونق الربيع، وبهجة الصيف، وألوان الخريف، وسحر الشتاء كلها تستحق تقديرنا. اكتب الجمل التي تصف مشهد الفصول الأربعة في النص، ثم انتقِ أكثر الجمل المعبرة وسجلها في الأسفل:

رونق الربيع:

بهجة الصيف:

ألوان الخريف:

سحر الشتاء:

الريف الممتع:

بالنسبة للأطفال الذين لم يذهبوا إلى الريف من قبل، حياة الريف مُفعَمة بالمشاعر الجديدة، حيث الناس البسيطة، والهواء النقي، والتربة العطِرة، والحيوانات اللطيفة، كل هذا يستولي على مشاعرنا. بعدما قرأت هذا الكتاب، ما الأشياء الممتعة والمرحة التي جمعتها خلال قراءتك؟ أسرع وشاركها مع أصدقائك.

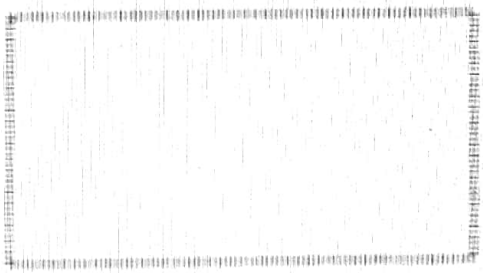

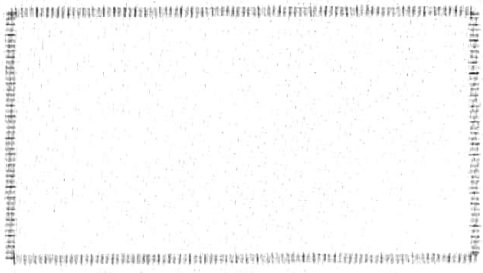

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشخصيات

بالإضافة إلى تودو، هناك العديد من الشخصيات الحية في الكتاب التي تركت انطباعًا عميقًا بداخلنا، مثل: شياويو، وتشانغ تشون ني، وتشانغ دو فو...

مَن أكثر شخصية نالت اهتمامك من بينهم؟ اصنع بطاقة له / لها.

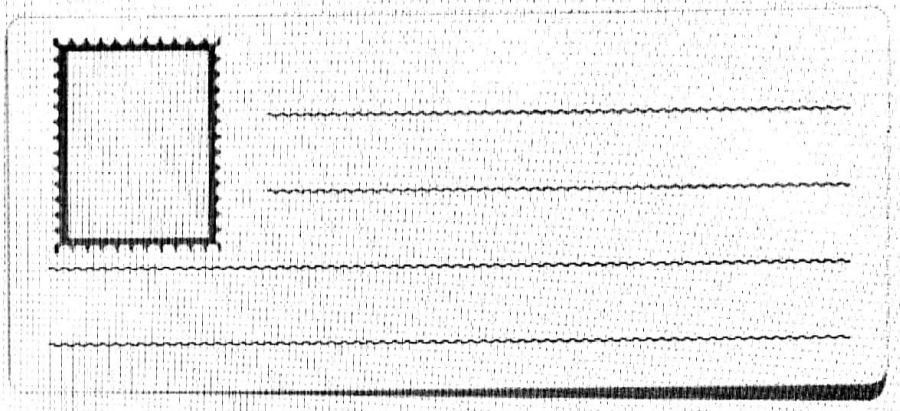

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner